مجلة البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

داخل العدد

- المسئولية الإجتماعية لوسائل الإعلام (دراسة تطبيقية علي أزمة المرور في مصر)
- الأغاني التليفزيونية المصورة (الفيديو كليب) ونظرية تأثر الشخص الثالث third person effect (دراسة تطبيقية على عينة من الجمهور المصري)
- كيف ترى المرأة صورتها المقدمة في إعلانات التليفزيون (دراسة كيفية على طالبات جامعة الإمارات العربية المتحدة)
- التعرض لمسلسلات التليفزيون وعلاقته بالأسلوب الذي يفضله المشاهد في إتخاذ القرار داخل الأسرة .
- دور وسائل الاتصال في تشكيل الصورة الذهنية لدى الصحفيين العاملين بالصحف الأمريكية تجاه العرب والمسلمين بعد أربعة أعوام من أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م (دراسة ميدانية).
- معالجة الأفلام السينمائية المصرية لقضايا التفكك الأسري (دراسة تحليلية وميدانية) .
- اتجاهات المرأة الصعيدية المتميزة نحو صورتها في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية (دراسة تحليلية وميدانية) .
- الآثار التربوية لعولمة الثقافة والإعلام في الوطن العربي .
- العلاقة بين ثنائية اللغة لدى المراهقين المستخدمين للإنترنت وتشكيل هويتهم الثقافية .
- دور الصحافة السعودية في تشكيل اتجاهات الناخبين (دراسة تطبيقية مقارنة على المصرية السعودية)
- بيئة الإحتلال الإسرائيلي وتأثيرها على التحرير الصحفي في الصحف اليومية الفلسطينية (دراسة تحليلية خلال عامي ٢٠٠٠ ، ٢٠٠٣).

العدد

الرابع والعشرون

أكتوبر ٢٠٠٥م

دار الاتحـاد التعاونى
للطباعة
ش سيدى بلال من مصطفى حافظ
جسر السويس
ت ٢٩٩٩٥٤٥

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٦٥٥٥

العدد الرابع والعشرون
أكتوبر ٢٠٠٥م

مجلة
البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور: أحمد الطيب

رئيس التحرير

أ.د: محيى الدين عبد الحليم

مدير التحرير

أ.د: شعبان أبو اليزيد شمس

رئيس قسم الصحافة والإعلام

سكرتير التحرير

د/ أحمد منصور هيبة

المراسلات: توجه باسم الدكتور سكرتير التحرير على العنوان التالى : جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالقاهرة قسم الصحافة والإعلام ت ٥١٠١٤٦٦

الآثار التربوية لعولمة الثقافة والإعلام فى الوطن العربى

د. حمـــــاد إبراهيـــــم
كلية الإعلام – جامعة القاهرة

القسم الأول

مدخل وتمهيد

العولمة وثقافتها : الظاهرة والمفاهيم والفلسفة

لا يزال موضوع العولمة من الموضوعات الرئيسية التى تثير نقاشا واسعا فى البلاد العربية وفى العالم على حد سواء . فقد ارتبط ذكرها بالمستقبل وصار التفكير فيها تفكيرا فى المستقبل القريب فى الوقت نفسه . لكن اذا كانت العولمة قد ارتبطت فى الطور الأول من ظهورها بعالم الاقتصاد وعالم المال بشكل خاص ، فإن الميل يزداد اليوم فى الأوساط الدولية المعنية إلى طرح قضية العولمة فى الثقافة . ومن يتتبع النقاش الدائر فى العالم العربي والعالم أجمع حول هذه المسأله الكبيرة يكتشف أن التساؤلات التى تحيط بها يمكن أن تتلخص فى أربعة أسئلة رئيسية : (١)

١ــ هل العولمة حركة موضوعية وبالتالى حتمية لاخيار لنا فيها ، أم هى سياسات ذاتية من الممكن تجنبها والعمل كما لو لم تكن موجودة ، بل مقاومتها للحفاظ على استقلالنا وحريتنا وصلاح سياساتنا ؟

٢ــ هل تعنى الهيمنة العالمية ؟ أوهل هى مرتبطة بهيمنة بعض الدول الاخرى أم هى دينامية جديدة تتيح الخروج من الهيمنة وتقدم فرصا أكبر لتحرر المجتمعات البشريه ؛ قويها وضعيفها ، وتفتح الباب أخيرا أمام انعتاق الشعوب النامية والفقيرة التى عانت من آثار الاستعمار والحمايات الاجنبية ؟ أى هل هى ذات آثارايجابية على الرغم مما يمكن أن يشوبها من سلبيات أم هى سلب مطلق تتضمن كسر إرادتنا واكتساح اقتصاداتنا وتفكيك مجتمعاتنا ومحو ثقافاتنا؟

٣ ــ هل تعنى العولمة الأمركة الاقتصادية والثقافية ، وتعد الفضاء الذى تحتاجه الولايات المتحده لتكرس وتحقق استقرار هيمنتها العالمية ، أم

أن الانفتاح المتبادل للفضاءات الاقتصادية والثقافية والإعلامية يساعد بالعكس على تطوير وتعميق التعددية الحضارية والثقافية والسياسية ؟

٤ــ هل لدى مجتمعاتنا الضعيفة الطاقه الكافية لمعالجة الضغوط التى تحدثها العولمة ، وايجاد الحلول الكفيلة بتجنيبنا مخاطرها ، ماهى شروط بلورة استراتيجيه مجابهة أو معالجة فعالة وناجحة بديلة؟

وعلى الرغم من العدد الوافر من الأدبيات التى تناولت موضوع العولمة فإن ثمة شبه اجماع بين الباحثين المتخصصين على أن أحدا لم يتوصل إلى تعريف مصطلح " العولمة " تعريفا نهائيا نظرا إلى شمولية المفهوم وتعدد أبعاده من جهة وإلى عدم الاتفاق على مدلولاته المباشرة من جهة أخرى .لذلك اتخذ الموضوع طابعا جداليا فرأى بعضهم أن العولمة ظاهرة ايجابية وينبغى ــ من ثم ــ الانخراط فيها ، فيما رأى آخرون أنها سلبية ومن الواجب مواجهتها ، وانبرى طرف ثالث للجمع بين الرأيين السابقين فى توليفة أكثر عقلانية وترويا ؛ فنادى المنضوون فيه بضرورة الاستفادة من الفرص التى تقدمها العولمة (مثل عولمة وسائل الاتصال وانتشار تقنية المعلومات) وتجنب أو مواجهة السلبيات التى تنتج عن بعض تطبيقاتها (الهيمنة الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية على سبيل المثال).

مفهوم العولمة :

الثابت أن التنظير الاساسى للعولمة قد أخذ بعده الفلسفى العام فى كتابى "نهايه التاريخ " لفرانسيس فوكوياما و"صراع الحضارات" لصمويل هنتنجتون حيث يري العولمة متناسبة مع معنى االنظام العالمى الجديد . ويضيف هنتنجتون إن هذا النظام هو امتداد للنظام العالمى القديم وإعادة إنتاج للرؤية المعرفية العلمانية الامبريالية فى عصر ما بعد الحداثه .

ولقد جاء فى تعريف صادر عن صندوق النقد الدولى "للعولمة" وفقا لتقريره نصف السنوى عن النصف الأول لعام ١٩٩٧ :" إنها الاندماج المتسارع للاقتصاد العالمى ؛ عبر التجاره وتدفق رؤوس الاموال وانتقال التكنولوجيا وشبكات الا تصال وتيار التثاقف"(٢)

وفى تعريف الكاتب الفرنسى اوليفيه دولجوس للعولمة فى كتابه الصادرعام ١٩٩٧ تحت عنوان "العولمة " يقول : " إنها تبادل شامل اجمالى بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للانسانية بأكملها وإن العولمة نموذج للقرية الكونية التى تربط بين الناس والأماكن ملغية المسافات ومقدمة للمعارف بدون قيود"(٣)

فيما اعتبر عالم الاجتماع الالمانى اولرش بيك العولمة فى كتاب له بعنوان " الحداثه الثانية وعصر العولمة " " ان العولمة سوف تحطم الاقتصادات القومية ؛كما أن مشكلات البيئة والمناخ لم تعد تنسجم مع ما يطرح اليوم من مفاهيم ومخططات ، وأن النزعة الفردية أخذت فى تغيير كثير من ملامح الحياة بجميع أشكالها " بينما كتب المعلق الامريكي الشهير توماس فريدمان لصحيفه هيرالد تربيون Herald Tribune فى ١٠ شباط / فبراير١٩٩٧ ان العولمه هى نحن (أى الامريكيون) داعما بذلك فرضية المتشككين فى الاطروحة كلها والذين يعتبرونها مجرد عمليه "أمركة " للعالم وتحت مسميات مخففة .

وفى المقابل كان روبرت ريخ وزير العمل الأمريكي الاسبق قد كتب فى الصحيفه ذاتها فى ١٠ كانون الثانى / يناير ١٩٩٧ ؛ محذرا الامريكيين من الانسياق الكلى وراء العولمة مبرزا بعض مساوئها الجانحة لجهة تكريس عدم المساواة ومضاعفة فقر الفقراء وغنى الأغنياء داخل الولايات المتحدة الأمريكيه نفسها.

بينما وصف ايجناشيور امونى مدير جريدة لوموند الدبلوماسيه الشهيرة سادة العالم الآن بانهم قوى تعمل بكل أريحيه بفضل انجيلها النيوليبرالى وتسير مع شعارات واضحة : التبادل الحر ــ الخصخصة ــ النظام التقليدي ــ التنافس ــ الإنتاجية ــ ويمكن أن تكون لافتتها كل السلطات للأسواق فالشؤون المالية والتجارية ووسائل الإعلام وغيرها من الميادين التى أنتجت بفضل التقنيات الحديثة قد عرفت تطوراهائلا وخلقت امبراطورية هائلة من نمط جديد.(٤)

أما الطيب تيزينى فيقول عن العولمة :" يمكن تحديد العولمة بعدة تعريفات ؛ أهمها وأكثرها حسما بالاعتبار الجماعي التاريخى هو التالى: انها ــ أى العولمة ــ هى الامبريالية فى مرحلة سقوط التعددية القطبية القائمة على التناقض والتضاد فى الأنماط الاقتصادية والاجتماعية أولا .وثانيا: الامبريالية فى عصر المعلوماتية أي فى عصر نواجه فيه تحولات جديده فى أشكال الاستغلال والاغتراب الرأسماليين . ومن ذلك الموقع تبرز "السوق الكونية " الكوسموسوقية " . والتجسيد الشامل عالميا للعولمة يراد لها أن تبتلع كل الانتماءات والهويات والقيم أوأن تمر عبرها(٥).

العولمة : الأساس الفلسفى :

للعولمة أساسها الفلسفى ؛ وجوهر الأساس الفلسفى يقوم على أن نهاية التاريخ قد حلت مع انتهاء الصراع بين الرسمالية والشيوعية، وانهيار الاتحاد السوفيتى لصالح الرأسمالية وهذا الانتصار دليل على صحه الاختيار الرأسمالى ومن حق أصحاب المشروع الرأسمالى أن يثقوا فى سلامة اختيارهم وأن يتصرفوا فى حركتهم الدولية من هذا المنطلق ، وهم الأقوى ، ويتعين على غيرهم فى سائر مناطق العالم وبيئاته من مختلف الجنسيات والأعراق والطوائف أن يلتفتوا الى ما لدى المجتمعات الراسمالية من منظومة قيم أوأبنية سياسية وثقافية واجتماعية ليحاكوها ويلتزموا بها وبرعاية تطبيقها فى بلدانهم لأن هذاهو الطريق الوحيد لأن يعيشوا داخل التاريخ ويلحقوا بحضارة العصر . .

للعالم فى عصر العولمة ثقافة واحدة يتعين على الجميع أن يتبناها لأن هذا هو ما يكفل الإنجاز السليم للمصالح والبلوغ اليسير للأهداف وبمقدار ما يخلص الفرد لهذه الثقافة ينهل من خيرات العولمة ،وهذا حقه طالما أنه اخلص لها ومنحها الولاء والانتماء ولم يلتفت لوطن أو جماعة أوعقيدة أوقيم وأدرك أن انتماءه الوحيد للدين الجديد ؛ العولمة . هذا هو جوهر الأساس الفلسفى للعولمة . ومنه تتجلى الأعمدة التى يقوم عليها:ــ

١ــ الأساس المادى لثقافة العولمة ؛ انتماء الانسان وولاؤه للمصالح والمكاسب التى يمكن أن يجنيها ؛ وهذا ما ينبغى أن تعيه المؤسسات والجماعات والدول إذا أرادت أن تنخرط فى تيار العولمة .

٢ــ قيم الرأسمالية هى المعيار ؛ ولا مجال لنظم قيم ترتبط بعقائد أوفلسفات أومذاهب أخرى ؛ والالتزام بهذه القيم هو المعيار للنجاح .

٣ــ المركزية الثقافية[٦] : بما أن الثقافة جزء من الانتاج الأيدولوجى لأى مجتمع ، فقد تجسدت نزعة الاستعلاء والمركزية الشديدة فى الثقافه الغربية ؛ اذ تنظر الثقافة الغربية إلى التنوع الثقافى نظرة احتقار وتسعى نحو تذويب الثقافات الأخرى واحلال الثقافة الغربية محلها .وقد قسمت العالم إلى قسمين : اثينا ــ مركز الاشعاع الحضارى ــ وبربر ــ أطراف مستودع لتلقى ذلك الاشعاع . وهذه النفسية الاغريقية الاستعلائية انتقلت بحذافيرها إلى التفكير الغربي المعاصر لتكرر ظاهرة التقسيم الثنائى وتأخذ أشكالا أخرى وتوظف التطور العلمى الهائل فى الغرب المعاصر لتأخذ عملية التقسيم صبغة جديدة هى امتداد وانعكاس لما ورثه الفكر الغربي من نزعات نفسية عنصرية للجنس الآرى الذى امتزج بالفكر الغربي بشكل دقيق . وانطلاقا من هذة المركزية الفلسفية والثقافية الغربية صيغت نظريات التبرير للحركة الاستعمارية لتغطي استمراريتها ؛ فظهر ما يسمى بالنظرية البيولوجية السياسية التى تقول إن للدول الكبرى حقا فى التهام الدول الصغري وان الشعوب الصغيرة يجب أن تموت وتفنى أمام الدول الكبيرة . ويقول (ارنست ريان) إن الأروبى خلق للقيادة كما أن الصينى خلق للعمل فى ورشة العبيد ، وكل ميسر لما خلق له . وأصحبت هذه النظرية نظرية الملك المباح التى تعنى إباحة استعمار الأقاليم التى تسكنها شعوب متخلفة عن ركب الحضارة ،ومتخلفة لأنها خارج القارة الأوربية .وقد كتب بعض المستشرقين كتبا يوضحون فيها هذه النظريات الاستعلائية التى تنم عن مركزيه شديدة تقصى أى تنوع ثقافى من أجل هيمنة ثقافه غربية واحدة فى العالم ؛ فكتب كوفييه (مملكه الحيوان) وغوبينو(مقاله فى التفاوت بين العروق

الانسانيه) وربوت نوكس (عروق الانسان السوداء) وغوستاف لوبون (القوانين النفسية لتطور الشعوب) وتهدف هذه الكتب وغيرها الى القول ان الشرق ينتمى بيولوجيا إلى عرق محكوم وينبغى له أن يحكم وهذا قدره ومصيره . ويرى زعيم المدرسة الوضعية الحديثة (اوجسيت كونت ١٧٩٨ ــ ١٨٥٧م) أن التفكير الإنسانى فى مرحلته الصبيانية وهمى يعتمد الأساطير والاديان .ثم جاء اليونان فولد العقل المجرد ثم تطور الى التجربة مع عصر النهضة الأروبية ليبلغ المرحلة الوضعية فى هذا العصر . وخلاصه الأمر أن النظرية قائمة على نزعة النفى والاقصاء لكل الثقافات . ولذلك فإن نظرتها إلى التنوع الثقافى نظرة احتقار، وسعى متواصل لانهائه من أجل غلبة الثقافة المركزية الغربية التى تطمح أن تكون كونية..

٤ــ على "الآخر" أيا كانت بيئته ــ أن يدرك جيدا انه أمضى زمنا طويلاً من العيش فى مجتمع متخلف ؛ وكل ما كان لديه لم يسهم فى تغيير أوضاعه على النحو الأفضل ، وأن عليه أن يغادر ذلك كله صوب مجتمع تضمن له فيه العولمة حياة يتجاوز معها ما كان يعيش فيه من بؤس وحرمان.

٥ــ النموذج الامريكى فى السياسة والاقتصاد و الثقافة هو المركز / القلب، فى فكر العولمة ، فهو النموذج المنتصر فى معركة الصراع مع الاتحاد السوفيتى ؛ وهو النموذج الاقوى اقتصاديا بمؤسساته المالية الضخمه التى تعد بالرخاء والتعمير . وهوالنموذج المتفوق عسكريا بما يرتبط به من أساطيل وبوارج وطائرات عملاقة وقاذفات وترسانة من الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية. وعلى الآخرين أن يدركوا حدود قوتهم فى العلا قة مع الولايات المتحدة ، وأن يتصرفوا وفقا للمسار الذى تحدده لهم ... مسار ماأسمته بالنظام العالمى الجديد ومسار العولمة (لاحظ لغة التهديدات الأمريكية للجمهورية العربية السورية فور احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق).

٦ــ العولمة فى جوهرها مشروع للهيمنة يتجه نحو نفى حضارات الآخرين ولايعترف بالتعددية الثقافية ولا يقر بالذاتية الحضارية ولا يتسامح مع الديانات الأخرى . بل إنه يرفع شعار صراع الحضارات ويرى فى الحضارة الاسلامية مثل ما يرى فى غيرها خطرا على الحضارة الغربية بعد أن تمت تصفية الاتحاد السوفيتى واقصيت الشيوعية . وهذا هو الأساس الفكرى والفلسفى لما يجرى من محاولات من أجل إعادة رسم خريطة الوطن العربى جغرافيا . وتغيير نظمه السياسية وصياغة نظمه التعليمية والتربوية والسيطرة على مؤسساته الإعلامية والدينية ولاسيما تلك التى ينظر إليها على أنها " عقبة "أمام مسيرة العولمة .

٧ــ تقوم العولمه فى جوهرها أيضا على تبنى ثقافه الاستهلاك والتعظيم من شانها ، أو ما يسمى بالثقافة الشعبية الأمريكية ؛ PoPULAR CULTURE التى تنتشر اليوم بصورة سريعة بين الفئات الشعبية المختلفة وتسلبهم الهوية ، وتحول الانسان العربى الى مواطن كونى (أوهكذا يتصور)

عولمة الثقــافة :

فى هذا المجال لدينا تياران ؛ أولهما يرى أن العولمة الثقافية تعنى انتقال تركيز اهتمام ووعى الانسان من المجال المحلى إلى المجال العالمى ومن المحيط الداخلى إلى المحيط الخارجى ؛ ففى ظل العولمة الثقافية يزداد الوعى بعالمية العالم وبوحدة البشرية وستبرز بوضوح الهوية والمواطنة العالمية التى ربما ستحل تدريجيا ــ وربما على المدى البعيد ــ محل الولاءات والانتماءات الوطنية . الانسانية ستتعود النظر الى ذاتها ككتلة واحدة ذات مصير واحد وبقاء وفناء واحد ، وتشترك مع بعضها البعض فى قيم عميقة وتتخطى كل الخصوصيات الحضارية والثقافية . ففى ظل العولمة الثقافية يكتشف الإنسان بعده العالمى ويتعرف على هويته الانسانية أكثر من أى وقت آخر . ولكن بروز الهوية فى ظل العولمة لا يعنى تلقائيا تراجع أو

تهميش أو نفى الهوية الوطنية للفرد وذلك كما يقول سالم يفوت الذى يجزم أن العولمة لا تهدد الهوية .(٧)

أما التيار الثانى فيذهب أنصاره إلى " أن العولمة تحمل دائما فى طياتها نوعا أو آخر من الغزو الثقافى ؛ أى من قهر الثقافه الأخرى للثقافة الأضعف منها"(٨) ومن المواقف البارزة فى إطار رؤى هذا التيار وتصوراته ما طرحه أحد المفكرين العرب من تساؤلات :" هل من الممكن أصلا الجمع بين المصطلحين عولمة الثقافة ؛ بينما الثقافة تنبثق وتتطور وتثمر فى موقع معين ؟ هل تقبل الثقافة " التعولم" أم تظل غير مؤهلة أصلا لهذه الخاصية ؟ كما أن العولمة ــ حسب سؤاله ــ حتى إذا ما انتشرت فى مجالات أخرى فانها لن تشمل الثقافة ،ويتصور ثلاثه احتمالات او سيناريوهات :: الأول " القائل أن الثقافة لا تعولم وأن أيه عولمة للثقافة هى فى حقيقة الأمر هيمنة لثقافة معينة على الثقافات الأخرى.... هيمنة تستند فيها ثقافة معينة إلى قوة من خارج مجال الثقافة . سواء كانت هذه القوة مستمدة من مجال التكنولوجيا؛ أو مجال الاقتصاد أومجال القهر السياسي ، ولكن المهَم فى الأمر أن هذه الهيمنة غير ممكنة . أما السيناريو الثاني استحاله قيام ثقافه معولمة ؛ وأن العولمة حتى اذا ما انتشرت فى مجالات أخرى ؛ فإنها لن تمتد الى مجال الثقافة فهى قادرة على الاحتفاظ بتنوعها بوسائل عديدة طالما بقيت الفروق البشرية واختلافات المواقع والتجارب والتاريخ . ويصل إلى سيناريو ثالث ويعتبره معقولا ويتبناه حيث يتوقع نوعية جديدة من العلاقة بين العولمة والثقافة لا تقوم على هيمنة ثقافة واحدة فقط ولا التنوع الثقافى فحسب. (٩)

ويحظى هذان التياران بحضور مكثف فى الثقافه العربية المعاصرة ، وبقطع النظر عن صحة أو خطأ ما يسودهما من اتجاهات ؛ فان هناك مجموعة من الظواهر الثقافية البارزة التى يتعين تأملها ومراجعتها وفهم دلالاتها :

الظاهرة الاولى : اننا بصدد تدفق إعلامى ومعلوماتى هائل متنوع المصادر ويعبر عن حضارات وثقافات ارتبطت بنظم قيمية خاصة ، وكثير من جوانب هذه النظم يختلف إلى حد كبير أو قليل مع النظم القيمية التى ارتبطت بها الحضارة العربية الاسلامية .

الظاهرة الثانية : ان الاقرار بالتواصل والتفاعل الحضارى والثقافى كان ولايزال من أبرز الملامح المميزة للحضارة العربية الاسلامية فى مختلف عهودها لكن هذه الحضاره تتعرض ومنذ أحداث الحادى عشر من ستمبر ٢٠٠١ لحملات دعائيه هجومية مكثفه تتهم فيها بالتحجر والتخلف والانغلاق ، وترى فى مثل هذة السمات سببا لتفسير اتهام أكبر ضخمته الآلة الاعلامية الغربية وجعلته الملمح المميز لشخصية الانسان العربي والمسلم فى العالم المعاصر: "الارهاب"

الظاهرة الثالثة : ثمة اتفاق بين الأجنحة التى تبدو مختلفه داخل الحضارة الغربية المعاصرة على أن هناك حاجة ماسة لتغيير النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة فى كثير من الدول العربية والاسلامية وهناك محاولات تبذل فى هذا الصدد تبدو وكأنها جهود عفويه تلقائية من أجل إحداث تغيير حقيقي بدعوى القضاء على الارهاب ونشر رياح الديمقراطيه وتأمين حقوق الانسان .

الظاهرة الرابعة : إن الوزن السياسي والاقتصادى والعسكرى للولايات المتحدة الامريكية منحها موقع القيادة فى الحضارة الغربية المعاصرة، ونظرا لمصالحها الاستراتيجية المتعددة فى الوطن العربي ، فإنها تقوم بدور مركزى فى المطالبة بالتغيير مستندة إلى أن احداث الحادي عشر من ستمبر تمنحها الحق فى اتخاذ ما تراه من " تدابيروقائية تفضى الى المحافظة على الأمن الأمريكى ".

الظاهرة الخامسة : إن الدعوة الى التغيير حسبما تراها الولايات المتحدة من موقع قيادتها للعالم المعاصر ــ تتركز فى المجالات التعليمية والإعلامية والدينية . المدرسه والمعهد ــ الصحيفة والمذياع والتلفاز ــ

المسجد ومؤسسات نشر الثقافة الدينية ـــ وليس من قبيل المصادفة أن تبدأ الولايات المتحدة بعرض مطالبها فى هذا المجال ؛ فهى مؤسسات صناعة الذاكرة التاريخيه والوطنية وهى مؤسسات تشكيل العقول وهى مؤسسات بناء الشخصية العربية والاسلامية ، وهى أخيرا مؤسسات تمثل الأعمده الكبرىلعملية الحماية والدفاع عن الطابع العربي الاسلامى للثقافة والفكر . وإزاء هذه المجالات تحديدا ، لصانع القرار الأمريكى تصور وفلسفة منهما تنطلق الدعوة إلى "ضرورة التغيير " فكل تغيير سياسي أو اقتصادي تتطلع إليه الولايات المتحدة لن تكون له قيمة مالم تتحرك دول المنطقة ـــــ التى تسميها الأدبيات البريطانية والأمريكية " الشرق الأوسط " من أجل اجراء التغييرات التى تريدها القوى الغربيبة فى المجال الثقافى بفروعه التعليمية والاعلامية والدينية ، وعندما تستجيب المنطقة ويحدث التغيير ، ساعتئذ يمكن لمشروع" الشرق الاوسط الكبير" أن يسلك طريقه بسهوله ويسر .

الظاهرة السادسة : من بين كافه المجالات التى تركزت عليها الدعوة الى التغيير حظيت المؤسسات التعليمية بمكانة بارزة . يرصد التقرير الاستراتيجى الخليجي لعام٢٠٠١/٢٠٠٢ ذلك بقوله " ربما كان عام ٢٠٠١ هو أول عام يشهد تسليط الضوء على العلاقة بين النظام التعليمي والنظام الدولى وبين التعليم والأمن العالمى . فبعد أحداث ١١ سيتمبر التى اشتبه بقيام عناصر من دول الخليج بها ومن المملكة العربية السعودية تحديدا ، تركزت التحليلات على البنية التعليمية التى تؤدي لاحياء أفكار الغلو والتطرف وتنعش بيئة الارهاب وتوجهت الاتهامات إلى مناهج التعليم والدراسة فى دول الخليج خصوصا فى السعودية ." وتركزت الحملة المنظمة فى الولايات المتحدة والغرب عموما على ضرورة تغيير النظام التعليمي وتنقيحه ومراقبة فكر البنية الدينية وأنشطة الجمعيات الخيرية والأوقاف وخطب المساجد فى دول العالم الاسلامى وفى دول الخليج على وجه التحديد. وبرزت دعوات لاستبدال البنية التعليمية التقليدية ببنية عصرية تكرس علوم الثقافة والعصر على حساب العلوم الدينية "(١٠)

الظاهرة السابعة : ان الدعوة الى التغيير والالحاح عليه بدت وكأنها تعبر عن " حدود" القوة" التى تملكها الولايات المتحدة ووزنها فى العالم المعاصر . فالدعوة للتغيير من الخارج تصطدم بالقانون الدولى وميثاق الأمم المتحده وما يسمى بـــــ" الشرعيه الدولية " وتثير حساسيات كبرى فى العلاقات الدولية حول" سيادة الدولة" و" سلطتها" فى السياسة العامة التى تمثل شأناً داخليا . غير أن إدارة الرئيس جورج دبيليو بوش أجرت تحولا هائلا فى النظرة إلى القانون الدولى والشرعية الدولية واعتبرتها عقبة أمام المصالح الأمريكية وساد اتجاه قوى داخل مؤسسات صنع القرار الأمريكي للتعظيم من شان القوة الأمريكية والدعوة إلى تجاوز القانون الدولى فى ظل الاعتقاد بأن مصالح الو لايات المتحدة تعلو القانون الدولى .وفى ضوء هذا اقترنت الدعوة الى التغيير بلغة سيطر عليها التهديد باستخدام القوة والتلويح بالاحتلال أسوة بما حدث فى العراق . لقد تعرضت الجمهورية العربية السورية لتهديد مكثف " غير أن أهم ما كشف عنه النقاب فى هذا الصدد ما قاله الرئيس اليمنى على عبد الله صالح من أن قرار إغلاق المعاهد الدينية فى بلاده أبعد اليمن عن ضربة كانت مؤكده فى سياق الحملة ضد الارهاب وأيضا الاتجاه إلى إغلاق المدارس الدينية فى باكستان مقابل ما يزيد على مائة مليون دولار وعدت بها الولايات المتحدة الحكومة الباكستانية لبناء معاهد ومدارس عصرية .كما دعت وزارة التربيه الكويتية القوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى البلاد إلى المشاركة فى مؤتمر الوزارة فى ابريل ٢٠٠٢ للبحث فى امكانية وسبل إصلاح النظام التعليمي الكويتى ، وبدأت لجان فى دراسة النظام التعليمى السعودى . وسرعان ما أصبح الملف التعليمي فى الخليج أكثر أهمية من الملف الأمني وفى ظل النظرة للنظام التعليمي باعتباره البوابة الأولى لتكريس الأمن العالمى واجتثاث فكر " الارهاب " من جذوره .

فى ضوء الظواهر السابقة ، وتأسيسا عليها تعنى هذه الورقة بالاجابة عن علامات الاستفهام التاليه :

- ماالأساس الفلسفي لثقافة العولمة؟
- ما انعكاسات المحاولات الرامية لعولمة الثقافة على المؤسسة التعليمية فى الوطن العربي ؟
- ماالمجالات التعليمية التى ينصب عليها الاهتمام باحداث تغيير جوهرى ؟
- ما المصالح الدولية التى تقف وراء حملات المطالبة باجراء تغييرات جذرية فى مناهج تعليمية معينة؟
- ما ابرز تجليات العولمة تربويا فى مجال ثقافه الطفل؟
- ما المشكلات التى تثيرها عولمة الثقافة فى مرحله الطفولة ؟
- ماذا نعنى بعولمة الإعلام وما التيارات البحثيه و الفكريه بشانها؟
- ما مظاهر التاثر العربي بالعولمة فى المجال الاعلامى؟
- ماحدود الدور الذى يسهم به الإعلان فى إشاعة ثقافة الاستهلاك فى ضوء تجربة المطبوعات الإعلانية بالخليج؟
- ما الدروس التى يمكن استخلاصها عبر التقييم النقدى لتجربة المطبوعات الاعلانيه فى الخليج؟
- ما العمل ؟

القسم الثانى

تأثيرات العولمة التربوية والتعليمية

عندما يتعلق الأمر بواقع التربية ومشكلاتها والتحديات التى تواجهها ، ينصب الاهتمام عادة على دور المدرسة إلى الحد الذى تبدو فيه المؤسسة التعليمية وكأنها مركز التربية الوحيد، ومثل هذا التفكير فى معالجة شؤون التربية ومشكلاتها فى بلادنا يفتقر إلى الصواب ؛فإلى جانب المدرسة ، بل قبلها توجد الأسرة التى تمثل مركز التغذية الرئيسى لما تنجبه من أطفال بمجموعات من القيم والاراء والمعارف التى تؤثر فى الاتجاه وتحدد ماهو ايجابى أو سلبي وتقود إلى تفضيل نوع معين من السلوك يدل على أسلوب معين من التربية يكسب هذه الأسرة خصوصية ويميزها على ماعداها من أسر أخرى . وتوجد أيضا المؤسسة الدينية ، وإذا كان لهذة المؤسسة فروع فإن ما يهمنا منها هو (المسجد) الذى يسهم بدور فعال فى الوعظ والإرشاد ؛ عبر الموروث الدينى والسوابق التاريخية التى تحمل عادة بدلالات وقيم تسهم فى بناء الانسان الصالح وتحدد له كيفية التاسيس لعلاقات ومعاملات سوية مع الذات والمجتمع من أجل الفوز برضاء الخالق سبحانه وتعالى .

كل تفكير موضوعى فى مجال التربية لا يصح له أن يحيل مسؤلية التقصير فى بناء الإنسان إلى مؤسساته التعليمية . إذ يلاحظ أن المؤسسات التعليمية فى الوطن العربي تتعرض لحملات هجومية عدائية ، تحمل قدرا هائلا من السخريه والحقد ؛ ويستوى فى ذلك تلك الحملات التى تشنها قوى خارجية أو تلك التى ترد من أولئك الذين ينصبون أنفسهم حماة لتقدم المجتمع ونهضته من أبناء الوطن..

ليس لدينا شك فى افتقار هذه الحملات إلى المنطق ؛ ويرجع ذلك إلى ما يلى:

أولا : إن اتهام المؤسسة التعليمية العربية بالتقصير فى بناء الإنسان ليس إلا سببا معلنا للهجوم ، وهذا السبب المعلن يخفى وراءه سببا حقيقيا

(فعليا) وهو أن المؤسسة التعليميه فى الوطن العربى مازالت تحرص على طابعها العربى الاسلامى ومازال أبناؤها المخلصون يمثلون عقبة كبرى أمام محاولات التغريب المتعددة التى تسعى للنيل منها وطمس هويتها العربيه الاسلاميه .

إن ارتباط المؤسسة التعليمية العربية بالعقيدة الإسلامية يقف عقبة أمام "علمنة" التعليم ومن ثم يحول دون تربية جيل فى ظل سياسة تعليمية تبعده عن التمسك بعقيدته وثقافته الإسلامية .

ثانيا: إن الهجوم على المؤسسة التعليمية فى الوطن العربى شرس ، وسيزداد شراسة ، و على الذين يديرون هذه المؤسسة أن يتوقعوا ذلك ، وعليهم أن يعتبروه أمرا طبيعيا لأن هذه المؤسسة تتعامل فى المقام الاول مع جمهور من صغار السن ، سواء كانوا أطفالا أو مراهقين ؛ ومثل هذة النوعية من الجمهور تمثل تربة خصبه للتربويين واذا كان العمل معهم يتطلب جهدا فإن امكانية التاثير فيما لديهم من معارف وافكار وقيم واتجاهات تزداد مما يرتفع بقدرة المؤسسة التعليمية على صياغة العقول وتشكيل الشخصية فى المراحل المبكرة من العمر ، واذا نجح (الخارج) فى الفوز بدور فى صياغة العقول وتشكيل الشخصية سيصبح من اليسير علية توجيه (الداخل) فى المسار الذى يريده وفق السياسة التى تخدم مصالحه .

ثالثا : إن الهجوم على المؤسسات التعليمية فى الوطن العربى يجرى تحت لافته (التطوير) أو(اصلاح التعليم) .وعلى الرغم من أن تطوير التعليم أو اصلاحه يمثل تحديا لابد من التعامل معه والاقرار بضرورة مواجهته على أسس علمية ، فان هذين المصطلحين يبعثان على الريبة أكثر مما يدعوان إلى التسليم بهما:

١ــ لم يظهر هذان المصطلحان بهذه الكثافة فى وسائل الإعلام الدولية و(العربية) إلا إبان اكتشاف الولايات المتحدة لمدى الضعف الذى وصلت إليه الأمة العربية ، حسبما تجلى أثناء اعدادها للعدوان على العراق وعقب احتلاله ؛ حيث ساد مؤسسات صنع القرار الامريكى شعور قوى بان الوقت

مهيأ لدعوة الدول العربية إلى إصلاح تعليمها وتطويره . وأن اختيار الدول العربية لموقف (الصمت) تجاه احتلال (دولةعربية) كان ثمرة من ثمرات التهديد التى سبقت العدوان وصاحبته مما دعاها إلى أن تنقل التهديد لمجال آخر يتصل بمؤسسات صناعة الذاكرة الوطنية وبناء العقل الجمعى فى المجتمعات العربية .

٢ــ عندما يتردد مفهوم التطوير يتبادر الى الذهن ــ بالمخالفة ــ أننا فى المؤسسات التعليمية العربية نعانى نوعا من (التخلف) فى هذا المجال أو ذاك مما يوجب علينا تجاوزه عبر عملية (التطوير أو الإصلاح) المطلوب إنجازه . فما هى المجالات التى ينبغى علينا تجاوز التخلف فيها؟.

أ ــ لا تتركز الضغوط الاجنبية فى الدعوة إلى التطوير فى علوم الكيماء والأحياء أو الرياضيات أو الحاسب الآلى وتكنولوجيا المعلومات مثلا. ويلفت النظر غياب هذه المجالات فى الخطاب الأجنبى أو الأمريكى فى دعوة الدول العربية والإسلامية إلى إصلاح مناهجها التعليمية وتطويرها ، وكل الوفود الأجنبية التى تكالبت على بلادنا فى الفترة الأخيرة لم تعبأ بتسجيل أية ملاحظة أو انتقاد على ما يجرى تدريسه فى هذه المجالات . فهل يعنى هذا أن مناهج تدريس هذه العلوم فى المؤسسات التعليمية العربية مناهج عصريه تسهم فى بناء جيل واع وقادر على التعامل مع قضايا العصر ومشكلاته ؟.

لاسبيل للإجابه بالايجاب عن هذا السؤال، والذى يمكن تأكيده فى هذا الصدد أن صمت القوى الأجنبية عن دعوة المؤسسات العربية إلى التطوير فى هذه المجالات يعنى حرصها على ابقاء الوضع التعليمي على ما هو عليه بما لا يسمح للانسان العربى بالتفوق فى علوم ذات بعد تطبيقى تسهم كثيرا فى صناعة النهضة والتقدم وتهيئ للأمة فرص امتلاك مصادر القوة على النحو الذى يحفظ لها مكانتها فى العالم المعاصر ويضعف من فرص الأجنبي فى تهديد مصالحها أو الاساءة إليها.

ب ــ على العكس من ذلك تماما نلاحظ حضورا مكثفا للدعوات الأجنبية (الأمريكية) إلى (الإصلاح والتطوير) فى مجالات بعينها تتصدرها علوم الدين والتاريخ واللغة العربية والتربية الوطنية والقومية . ففى مجال التربية الدينية يتركز الاهتمام على استبعاد آيات قرانية تعددة ذات علاقة بصياغة تصور الإنسان المسلم نحو (الآخر) وحذف أحاديث نبويه معينة تعرض لـــ "سنة " الرسول عليه الصلاة والسلام . على النحو الذى ينزع من العقليه المسلمة عودتها إلى(الأسوة الحسنة) وحرمانها من أن تجعل الرسول قدوتها فى التعامل مع المشاكل التى تواجه المجتمعات الإسلامية . ويلاحظ أن جل التدخلات الأمريكية فى مجال التعليم الدينى تصب فى مجرى تنقية التعليم من تلك المعارف التىتتصل بعقيدةالجهاد فى الاسلام أو التى ترسخ قيما تسهم فى (وحدة العالم الاسلامى) وتعزيز(مسؤليه الإنسان المسلم فى نصرة أخيه) والوعى بضرورة (عدم موالاة الكفار) والاستعداد (للتضحية بالنفس فداء لنصرة العقيدة) والفهم العميق للجذور التاريخية للصدام مع الحركات الصليبية والصهيونية.

ج ــ وفى مجال التاريخ تتزايد الضغوط من أجل حذف تلك المواد التعليمة التى ترتفع بمستوي وعي الجيل الجديد تجاه معارك المسلمين فى مواجهة الحملات الصليبية التى شنها الغرب على العالم الاسلامى ، وتجاه المشروع الاستيطانى الصهيونى لليهود فى فلسطين الذى يلتزم بشعار تاريخى يقوم على فرض السيطرة من النيل الى الفرات كما تتجة خطط الاصلاح والتطوير المزعوم نحو تصفية الروايات التاريخية التى تقوم على تمجيد عدد من رموز الإسلام والعروبة ممن أبلوا بلاء حسنا فى مواجهة الحملات الصليبية والحركة الصهيونية ؛ كى لا تتاح للاجيال الشابة فى الوطن العربي والدول الاسلامية فرص التعرف على جوانب مضيئة من تاريخ أوطانهم ماكان لها أن تحدث لولا وجود قادة أو زعماء أو مصلحين نذروا أنفسهم لخدمة أمتهم ؛ واستحقوا أن يكونوا أبطالا ، فتحولوا إلى (منارات) فى تاريخ الامة ، ولاشك فى أن نجاح المخططات الأجنبية فى هذا

المجال تعنى ــ فى التحليل الاخير ــ قطع الصلة بين ماضى الأمة وحاضرها وحرمان الاجيال الناشئة من الاستفادة من تاريخ هؤلاء الابطال ، وقتل الأمل فى النفوس ، لان تدريس سير البطولة والفداء يمد الأجيال باحساس قوى فى مستقبل أفضل ، انطلاقا من أن الأمه التى صنعت مجدا كبيرا فى عصور سابقه ، يمكن أن تصنع مجدا أكبر فى حاضرها ، وإذا ملكت إرادة التغيير فعليها أن تقرأ جيدا (قانون) التقدم والنهضة الذى أمسك به أسلافهم فى مجالات مختلفة .

د ــ وفى مجال اللغة العربية ربما لم تتعرض لغة فى العالم لهوان على يد أهلـــها مثل ذلك الذى تعرضت له اللغة العربية فى (الوطن العربي) ففى كل الدساتير التى يفاخر بها العرب من المحيط إلى الخليج اقرار واضح وصريح بان لغة البلاد الرسمية هى اللغة العربية ، وفى كثير من الدول العربية قوانين تحرص على صيانة النص الدستورى وتدعو الى أهميه تفعيله فى حياتنا اليومية ، لعل أهمها تلك التى تؤكد على أن تكون اللغة العربية لغة المخاطبات والمراسلات بين الدواوين والأجهزة المختلفة بالدولة، وفى كثير من المجتمعات العربية مجامع للغة العربية تتحدد وظيفتها الأولى فى الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها والتنبيه إلى مظاهر التهديد لها والدعوة الى مواجهتها والحد من اثارها السلبية، وتقوم عليها مجموعه من أبرز رجالات الفكر والثقافة والادب والدين والسياسه والاقتصاد والإعلام والقانون والطب ، وغيرهم ممن يتحلون باعلى درجات الاخلاص فى خدمه لغة الضاد.

غير أن ذلك كله ليس أكثر من واجهه براقة تخفى واقعا مريرا ؛ حيث تتعرض اللغة العربية لقدر هائل من السخرية من(بنى الوطن) أو (المنتسبين اليه اسما) ممن ينظرون إليها على أنها (لغة متحفية عفا عليها الزمان) ويدعون إلى هجرتها طالما أنها تمثل عقبة أمام التواصل والتفاعل مع الحضارات الأخرى . ولدينا فى الوطن العربي شرائح أو فئات اجتماعية يعيبها كثيرا أن ترسل أطفالها إلى مدارس أومعاهد أو كليات تعتمد العربية

لغه للتدريس فيها ، أو تلتزم بالمناهج العربية لوزارات التربيه والتعليم . ولدى هذه الشرائح والفئات أيضا يعد إرسال أطفالها إلى مدارس ومعاهد تعتمد على المناهج الأمريكية والبريطانية مصد را للفخر والمباهاة ، يمنحهم إحساسا بالمكانة الاجتماعية المميزة التى تضع حدا فاصلا بينهم وبين غيرهم من المواطنين الذين اعتادوا إرسال أطفالهم وأبنائهم إلى مؤسسات الحكومية للتعليم . واذا كان لهذا الانقسام بين الفئتين أساسه الاقتصادى ؛ حين تملك الفئه الأولى نصيبا من الثروة يؤهلها للانفاق على التعليم الاجنبي، وحين لا يتوفر للثانية ما يؤهلها للتفكير فى ذلك ، فان لهذا الانقسام آثاره الثقافية والتربوية الخطيرة على المدى البعيد . حيث ينشأ جيلان فى مجتمع واحد ، ويترعرعان وفقا لأنظمة تربوية وقيمية متباينة ؛ أولاهما : يقوده النظام التعليمي الأمريكي أو البريطانى إلى قيم ورؤي وتصورات ومبادئ واتجاهات وأنماط سلوك ترتبط – فى الأساس – بالمجتمع الذى أسس هذا النظام وأنشأه لخدمة أهداف تخصه وترتبط بمشكلاته وقضاياه وتحدياته البيئية ؛ أمريكية كانت أم بريطانية ؛ وثانيهما: يقوده النظام التعليمى العربي، وهذا النظام بطبيعة الحال له (خصوصية) يستمدها من بيئته العربية ، ويتجه نحو ترسيخ مجموعة من الأفكار والمبادئ والاتجاهات والقيم وأنماط السلوك التى تتفق مع أهداف الدولة العربية وتستجيب لمواجهة التحديات والمشكلات المثارة فى المجتمعات العربية وترتبط فى الأصل بعقيدته وتراثه الثقافى والحضارى.

مثل هذا الانقسام يعتبر مصدرا رئيسيا لزيادة حدة التفتيت الاجتماعى والثقافى والفكرى فى المجتمعات العربية؛ وهذا هو جوهرالمهمة الرئيسية للعولمة فى المجال التعليمي (التفكيك من الداخل) فى ظل وعى الاستعمار التقليدى بضرورة تجاوز (الابادة من الخارج) . ومثل هذا اللون من المهام ليس عملا عفويا يجرى بمجرد المصادفة ؛ و لكنه نشاط مقصود ، يخضع انجازه لتخطيط تحكمه فلسفة محد د ة؛ وهى أن عمليات التغييرمن الخارج لا قيمة لها ولاأمل فى نجاحها مالم تستند الى (قاعدة اجتماعية داخلية) تتشكل

من بعض الفئات والشرائح التى ترتبط مصالحها الاقتصاديه بضروره مساندتها للمشروعات والاستراتيجيات الاجنبية فى الوطن العربي والدفاع عنها وتبريرها والعمل على تجميلها لدى ما تبقى من فئات اجتماعيه أخرى ما تزال تتبني موقف الشك والحذر والرفض تجاه هذه المخططات.

إلى جانب هذا ؛ يمكن للمراجعة المتأنية لنمط تفكير الأجيال الشابة فى الوطن العربي أن تكشف عن واحدة من أكثر الظواهر خطورة ؛ وهى أن فئاتٍ من هذه الاجيال تتبني نظرة تقوم على" تقديس " مؤسسات التعليم (الأجنبى) وتضعها فى المرتبة الأعلى دون سواها من مؤسسات التعليم العربي . وهذه النظرة تعكس فى أحد جوانبها الوزن السياسي والاقتصادي للمجتمعات العربية فى علاقتها بالقوى الأجنبية ، وتعبر عن مدى تغلغل الاحساس بالضعف فى مواجهه الخارج ؛ لكنها على الجانب الآخر تجد أساسها السيكولوجى لدى تلك الأجيال من أولئك الذين يسيطر عليهم الاعتقاد بأن (مستقبل التعليم الأجنبى) أفضل كثيرا لهم من(مستقبل التعليم العربى) ؛ حيث يمكن للغة الانجليزية ان تتيح لهم فرصا للعمل فى مجالات الاستثمار العربي والأجنبي ؛ وترتفع بأسهمهم لدى المؤسسات والشركات العالمية التى تعتمد فى إنجازأعمالها على اللغة الانجليزية وتمنح لموظفيها رواتب مغرية بالعملات الصعبة لا المحلية التى تتضاءل قيمتها يوما بعد يوم فى ظل (تحرير سعر الصرف) وما يسمى بـــ (الاصلاحات الهيكلية) فى الاقتصاديات العربية استجابة لتعليمات البنك الدولى أو صندوق النقد الدولى اللذين يمثلان معلمين بارزين من معالم العولمة فى الجانب الاقتصادي .

وفي مرحله مبكرة من الاستقلال الوطنى منذ عقدي الخمسينيات والستينيات إنصب اهتمام (الدولة الوطنية) على زيادة الاهتمام بتعليم اللغة العربية ؛ وحصلت اللغة العربية على موقع متقدم إلى جانب غيرها من المواد فى التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى والجامعى . وحظيت كليات تعليم اللغة العربية بدعم ومساندة حكومية فى اطار الإيمان بان اللغة العربية

مقوم رئيسى من مقومات بناء الانسان وانضاج وعيه بذاته وإدراكه لتراثه وتنمية قدراته على مواجهة التحديات الجارجية.

ولكن الذى لا يمكن إنكاره أن مستوى الالتزام بهذه السياسات كان متواضعا بل ضعيفا ؛ فالمدارس والكليات لم تلتزم بتدريس اللغه العربية الفصحي واعتمد مدرسون كثيرون على اللهجات العامية ؛ كل حسب بيئته ، وقد وضعت (الأكثرية) التى اختارت هذا الاسلوب (الأقلية) التى التزمت بالفصحى فى مأزق كبير ؛ فبدا المدرسون الذين التزموا بالفصحى وكأنهم " استثناء" وخروج على القاعدة، وخلع عليهم طلابهم أوصافا سلبية ؛ فقيل عنهم إنهم متحجرون ؛متخلفون؛ يستخدمون مفردات قديمه ، بالية ، لاعلاقه لها بالقاموس اللغوى السائد فى المجتمع ، وقيل أيضا إنهم معقدون يعانون من أمراض تدفعهم إلى أن يتحدثوا هكذا (بالفصحى) .ولم تقف السخرية عند حدود طلابهم بل إنها امتدت لزملائهم من المدرسين الذين اعتادوا التدريس باللهجات العامية ممن أسعدتهم سخرية الطلاب ؛ كنوع من التعويض المقابل لاحساسهم الشديد بالعجز عن مجاراة زملائهم فى التدريس باللغه ألعربيه الفصحى.

وفى غالبيه المجالس أو الهيئات ، التى أقامتها الدول العربية إبان حصولهاعلى الاستقلال للإشراف على جهازى المذياع والتلفاز وتحديد السياسة الإعلامية للدولة ، جرى تمثيل الكليات المعنية باللغة العربية ،فناب عنها عالم أو باحث خبير باللغة العربية ومشكلاتها والتحديات التى تواجه المجتمع بشأنها .غير أن تأمل التجربة العربية فى هذا المجال يثير علامات استفهام حول جدوى هذا التمثيل وأهميته فيما يتصل بالموقف فى جهازى المذياع والتلفاز تجاه اللغة العربية .

كثيرمن المذيعين والمذيعات يرتكبون أخطاء فادحة فى نطق الحروف؛ وعلى السنتهم تتحول الثاء سينا والذال زايا والطاء تاء والقاف كافا، وبعضهم يتخذ ما يراه من قرارات ذاتية فى الرفع والنصب والجر ، والبعض منهم يؤثر السلامة بالتسكين تحت شعار (سكن تسلم) وكثيرا ما يلجأ

بعضهم إلى تطعيم لغة الحوار مع ضيوفهم بمفردات انجليزية أو فرنسية . وأصبحنا نرى في هذين الجهازين برامج باسماء انجليزية أوفرنسية ، وكثيرا ما نلاحظ عجز بعض المذيعات عن صياغه تراكيب لغوية سليمة ، ولم يحدث أن قرأنا عن استدعاء لهم للتحقيق معهم فيما يرتكبون من أخطاء وربما خطايا في حق اللغة العربية ، كما لم نقرأ عن صدور عقوبة بشأن أخطائهم التي تدخل في دائرة(التلوث اللغوى). وعندما تدار الأجهزة وفق نظم تفتقر إلى المحاسبة على أساس من الثواب والعقاب ، فإن المحصلة النهائية لذلك أن يستوى المخطئ والمصيب وتتاح الفرصة أمام المخطئ للاستمرار فيما يرتكبه ، ولايجد المجيدون مفرا من الشعور بالغبن طالما أن أحدا لم يعترف بتفوقهم ولم يقدر ما يبذلونه من جهد لكى يكونوا على هذا المستوى من جودة الآداء.

وإذا تأملنا مسيرة الأغنية العربية المعاصرة سنلاحظ أنه" إلى منتصف الستينيات من القرن الماضى كان الاتجاة واضحا لانتقاء كلمات الأغانى من شعر فحول الشعراء السابقين والمعاصرين ؛ حيث رأينا قصائد أبي فراس الحمدانى ، وابن زيدون ، وأحمد شوقى ، وإبراهيم ناجى ، وحافظ إبراهيم... وغيرهم تتغنى بها قمم الغناء من أمثال أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وغيرهم من نجوم تلك المرحله .. أما هذه الأيام فإننا نعيش مرحلة فيها الغناء أشبه ما يكون بالتشنجات تصدرعن أناس يعانون من أزمات وأمراض نفسية واضطراب عقلي . الكلمات فيها مسفة تخاطب الغرائز فى ابتذال وتفتقر إلى المعانى السامية التى كانت تحملها كلمات أغانى الستينيات وما قبلها ، حتى أصبحت أكثر الأغانى رواجا وتداولا على ألسنه العامة هى تلك التى تعتمد على كلمات غريبة لا أصل لها فى اللغة ولامعنى مثل (السح الدح و(كركشندى دبح كبشه) و(ايه الاسيتوك ده) و(كمننا) و(كجولوه) و(ياطط يانا) وأمثله ذلك كثيرة لا يتسع المجال لذكرها. (١١)

وتلك هى أصداء العولمة فى المجال الغنائى ، وتلك أيضا أبرز أصداء وتجليات " ثقافة الاستهلاك" فى عالم الأغنية العربية ؛ ففى هذا النوع من

الثقافة لا سبيل إلى الاهتمام بنوعية ما يقدم من أغان أو أفلام أو مسرحيات، وفيها ليس للصخب حدود طالما أن ما يوفره من أجواء مصاحبة يهيئ للإنسان فرصة كبرى للهروب إلى عوالم خيالية ظنا منه أن تلك هى المتعة ، ولأنها متعة عابرة فإنها تثير لديه الحاجة لمتعة عابرة أخرى توفرها أيضا ثقافة الاستهلاك فى مكان آخر، وفى طل البحث المستمر عن متع عابرة تتضاءل قدرة الإنسان على المراجعة والامساك بالمعانى الكبرى التى ينبغى أن يعيش من أجلها .

رابعاً : إن الدعوة الى الإصلاح والتطوير فى المؤسسات التعليمية العربية لاتعبر عن رؤية الولايات المتحدة وتصوراتها لما ينبغى أن تكون عليه برامج التعليم فى الوطن العربي فحسب . فمثل هذة الدعوة ــ وبدرجة أكبر ــ تعبر بدقه عن جوهر المخططات الاسرائيلية المتصلة بما ينبغى اتخاذه من تدابير تسهم فى خلق ما يسمى بـــ" ثقافه السلام " لدي الأوساط الشعبية فى الدول العربية المختلفة .

ويقوم جوهر المخططات الاسرائيلية فى هذا المجال على انتزاع المعارف والأفكار والقيم التى يرعاها النظام التعليمى العربي ؛ ويكسب الاطفال والشباب تصورا" عدوانيا" تجاه اسرائيل ، او تلك التى تتبههم إلى حقيقة المشروع الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين ، أو تلك التى ترتفع بمستوى وعيهم بالعلاقة العضوية بين اسرائيل والولايات المتحدة من جهة أو بين اسرائيل والغرب من جهة أخرى . أوتلك التى توقظ ذاكرتهم عبر استدعاء تاريخ المذابح والمجازر وصنوف التعذيب التى تعرض لها الإنسان العربي فى فلسطين على يد التنظيمات والعصابات الصهيونية التى اعتمدت على "الابادة الجماعية" اسلوبا لاغتصاب أرض عربية ،وإقامة "دولة اسرائيل".

ولصناع القرار الاسرائيلى موقف خاص تجاه المؤسسات المعنية بصناعه الفكر أو تشكيل الذاكرة الوطنية ؛ المدارس ووسائل الإعلام والمساجد المنتشرة فى الوطن العربي، إذ ينقل عن نتنياهو رئيس وزاء

اسرائيل الأسبق قوله "لا سبيل الى إقامة سلام بيننا والعرب مادامت هناك مدارس ومعاهد وكليات يتعلم فيها الطلاب دروسا عن"العدو الاسرائيلى" وما دامت هناك مساجد تلقن روادها روايات حول تاريخ اليهود فى الخياته والتآمر ونقض العهود،ومادامت هناك صحف واذاعات تعبئ المواطنين وتحرضهم يوميا ضد ما تصفه بالعدوان والاحتلال والمجازر والمذابح التى يباد فيها العرب على أيدى اليهود .

ثمة تطابق فى رؤية الولايات المتحدة الأمريكية والرؤية الاسرائيلية لما ينبغى أن يكون عليه التغيير فى مؤسسات الذاكرة الوطنية وتشكيل العقل العام فى الدول العربية والاسلامية. وعندئذ يتبادر إلى الذهن أسئلة جوهرية : ألا تبدو الإدارة الأمريكية "أداة" تعمل لحساب المشروع الصهيونى فى الوطن العربي؟ وهل يمكن لجهاز الدولة فى الوطن العربي أن يستجيب لمخططات اسرائيلية لمجرد أن الولايات المتحدة هى " المتعهد" بعملية التنفيذ ؟ وهل لدى الحكومات العربية "رغبة" وأكثرمن ذلك أهميه "قدرة "على أن تراجع هذا المخطط وتتأمله سيما وأن الطبيعة العدوانية للمشروع الصهيونى ما تزال باقيه بوضوح ، كما أن الولايات المتحدة لم تغير مطلقا من دعمها التاريخى ومساندتها الكاملة لهذا المشروع وتنكرها للحقوق العربية التاريخية فى فلسطين ؟

خامسا : فى ضوء التساؤلات يجب على صانع القرار العربي أن يتوقف أمام حقيقة المطالب الأمريكية لإنجاز تغيير فى مؤسسات صناعة العقل الجماعى وتشكيل الراى العام ؛ فالثابت ان هذه المطالب ليست أمرا يخص الولايات المتحدة الامريكيه فقط ؛ كما أنها وبالقدر نفسه لا يصح ان يجرى تمريرها وكانها "أمر منفصل" عن مشروعات سياسية كبرى تعدها الولايات المتحدة بمشاركه اسرائيلة من أجل صنع ما يسمى .تبعا لمصطلحات وزاة الخارجية الأمريكية ــ الشرق الاوسط الكبير[١٢] ــ وهو مشروع عدائى يسعى لتصفية النظام العربي وإبادة الهوية العربية وفرض ثقافة الاستسلام باسم السلام.

القسم الثالث

التأثيرات الإعلامية للعولمة : المبالغة فى الوظيفة الترفيهية

على الرغم من كثرة الحديث عن الإعلام والعولمة ، ودور الصور والمضامين والرموز العابرة للقوميات عبر وسائل الإعلام والمعلومات فى الترويج للعولمة وتوحيد العالم ، فإنه لم تظهر سوى محاولات قليلة لتحديد مفهوم العولمة ، والمتابع لهذه المحاولات يلاحظ أنها اتسمت بالاستقطاب الحاد بين تيارين :(١٣)

الأول يؤيد بحماسة وبدون تحفظ عولمة الإعلام ويبرز ايجابياتها باعتبارها تدعم التدفق الحر للمعلومات وحق الاتصال ، وتوفر للجمهور فرصا غير محدودة لحرية الاختيار بين وسائل الاعلام والمعلومات .وفى اطار هذا التيار ظهرت اصوات متعددة ، توجد بينها اختلافات فى المداخل والرؤى العامة ؛ فهناك أصحاب التكنولوجيا الذين يركزون على أن التقدم التكنولوجى المتسارع والمستمر فى مجال الإعلام والاتصال يحدث نقلات ثورية فى بعدى المكان والزمان وما يرتبط بهما من خبرات اجتماعية ، فضلا عن التمهيد لوعي جديد والفصل بين الحدود الجغرافية والهوية .

وهناك أصحاب مدخل مابعد الحداثة ؛ ولعل اشهرهم انطونى جيدنز الذى يرى أن ما بعد الحداثة هو نسخة راديكالية من الحداثة ، كما أن بينهم وبين العولمة علاقة حميمة ؛ فالعولمة هى توسيع للحداثة من نطاق المجتمع إلى نطاق العالم ، ويعرف جيدنز العولمة بأنها تكثيف للعلاقات الاجتماعية على مستوى العالم بطرق تجعل الأحداث المحلية تتشكل بفعل الأحداث التى تقع على مسافة بعيدة والعكس صحيح ،وفي هذا السياق ناقش جيدنز عولمة وسائل الإعلام Media Globalization على أنها ضغط الزمن والمكان . وهى سمة رئيسية فى العالم المعاصر وأشار إلى أن عولمة الإعلام هى الامتداد أوالتوسع فى مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه ، وذلك

كمقدمة لنوع من التوسع الثقافى ، وأكد جيدنز على أن وسائل الإعلام التكنولوجى الجديدة جعلت من الممكن فصل المكان عن الهوية والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية ، والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتماء ألى مكان محدد . وشدد جيدنز على أهمية دور الإعلام فى خلق وتضخيم الحقائق اعتمادا على الصور والرموز .

وبالإضافة إلى اسهامات جيدنز هناك مدخل أصحاب الليبرالية الجديدة الذى يركز فى تعريف العولمة على أنها مزيد من التركيز فى ملكية وسائل الإعلام والتكامل الرأسي و التكنولوجيا الجديدة وتخفيف القيود ومن شأن هذا وذلك خلق فرص جديدة للعمل ؛ فالتنافس سيصبح من مصلحة المستهلك (جمهور المتلقين) فى ظل استمرار الصراع بين الرأسمالية العالمية (الشركات الكبري متعدد الجنسية) والدولة القومية فى مجال الثقافة والإعلام.

...أما التيار الثانى فيعارض عولمة الإعلام بشدة ويرفض ما يقال عن ايجابياتها وينظر إليها باعتبارها نفيا للتعددية الثقافية وتسييدا لقيم الربح والخسارة وآليات السوق فى مجالات الإعلام والاتصال والمعلومات ؛ علاوة على الاعتداء على حرية وسائل الإعلام والحق فى الاتصال ؛ وتقويض سلطة الدولة لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات

ويندرج فى اطار هذا التيار ممثلون لمواقف واتجاهات عديدة أبرزهم ممثلو النموذج النقدى ؛ ولعل أشهرهم هربرت شيللر؛ صاحب المساهمات المتميزة عن الامبرالية الثقافية حيث يعرف عولمة الإعلام بأنها تركيز وسائل الإعلام فى عدد من التكتلات الراسمالية (عابرة الجنسيات) التى تستخدم وسائل الإ علام كحافز للاستهلاك على النطاق العالمى ، ويؤكد شيللر على أن أسلوب الإعلان الغربي ومضمون الإعلام يدفع إلى التوسع العالمى لثقافة الاستهلاك عبر ادخال قيم اجنبية تطمس أو تزيل الهويات القومية أو الوطنية .

وفى الاطار نفسه يرى تشومسكى أن عولمة الإعلام هى الزيادة الضخمة فى الإعلان ، وخاصه الإعلان عن السلع الأجنبية ؛ والتركيز فى

ملكية وسائل الإعلام الدولية ؛ وبالتالى انخفاض التنوع والمعلومات مقابل الزيادة فى التوجه للمعلن. ويتابع تشومسكى أن العولمة هى التوسع فى التعدى على القوميات من خلال شركات عملاقة شاملة ومستبدة يحركها أولا الاهتمام بالربح وتشكيل الجمهور وفق نمط خاص بحيث يدمن الجمور أسلوب حياة قائم على حاجات مصطنعة ، مع تجزئة الجمهوروفصل كل فرد عن الآخر بحيث لا يدخل الجمهور الساحة السياسية ، ويزعج أو يهدد نظام القوى أو السيطرة فى المجتمع. وإلى هذا التيار أيضا ينتمى بعض الباحثين الذين يرون أن تقنيات الاتصال باعدت الشقة ــ بايقاع سريع ــ بين فقراء الكرة الأرضية وأثريائها ــ لانها سهلت من حركة الاستهلاك الاقتصادى والهيمنة السياسية على المستوى الدولى لصالح دول المركز . وينادي هؤلاء بضرورة إعادة النظر فى النظريات والمناهج القديمة وتطوير النظريات والمناهج الحديثه لفهم هذه الأوضاع ومن ثم معالجتها . ولم يفصلوا بين عدم التوازن المعلوماتى على المستوى الدولى وآليات عمل النظام الدولى العالمى.

وقد اهتم Galtung بهذا الجانب بشكل كبير ؛ حين وصف النظام المعلوماتى والإعلامى العالمى بانه أداة فى أيدى الصفوة فى الدول الغنية لتحريك مصالحها والمحافظة عليها بواسطة صفوة من دول العالم الثالث تعتبر جسرا" Bridgehead elite لمصالح الغرب وصفوته(١٤) .

وتعد هذه المفاهيم تطويرا للنظرية البنيوية التى طرحها جالتونج نفسه فى أوائل السبعينيات ، قبيل احتدام الحوار فى اليونسكو حول النظام الاتصالى والمعلوماتى العالمى الجديد . وقد جادلت النظرية وقتئذ بأن العالم الصناعى يسعى لخلق صفوة متواطئه معه ومع مصالحه ، بحيث يربط مصالح تلك الصفوة بالمصالح الكبرى للامبريالية الدولية . وفى هذا السياق تحدثت النظرية عن وسائل الاتصال الدولى ، ودورها الكبير فى زراعة ثقافة "المركز" عند الصفوة المحلية فى الدول الفقيرة ، بما سماه البعض " زراعة الثقافة " Acculturation" فى نفوس تلك الصفوة .

وفى هذا السياق تناول Galtung و Vincent ضرورة صياغة مفاهيم للصحافة الدولية ، تجعلها أكثر عالمية وأكثر انسانية لتسهم فى تصحيح الاختلال فى ميزان القوى والثروة فى العالم . ووصفا الصحافة الدولية الحالية بما فيها صحافة دول العالم الثالث (المحتكرة من قبل الصفوة الخادمة لمصالحها ومصالح الغرب) بأنها صحافة منحازة للغرب وأنها ترى العالم والأحداث الجارية فيه بعيون غربية ؛ لاشرقية ولاجنوبية ؛ مما يغلب مصالح الغرب فى الخطاب الدولى وبالتالي فى السياسة واللعلاقات الدولية (١٥) .

الوظيفه الترفيهيه لوسائل الاعلام :

يبدو من نافلة القول التأكيد على حقيقة أن الترفيه حاجة أساسية لدى الإنسان يبحث عن تلبيتها بأشكال مختلفه عبر تاريخه. وهذا هو الترفيه الصحى والنظيف والضرورى والمطلوب ؛ وذلك لأن الترفيه الذى يحترم انسانية الإنسان ويتوجه إلى الغرائز النامية والمتطورة فى شخصية المتلقى، وبالتالى يساهم فى عملية ايجاد متلق يتمتع بالصحة النفسية والعقلية، ويعرف كيف يصبح اجتماعيا ، وكيف يعبر عن نفسه ، وكيف يعيش حياته . يقوم هذا الترفيه على أسس وينطلق من منطلقات تتوافق وتنسجم مع معطيات وقوانين العلوم الانسانية ومع خصائص وسائل الإعلام الجماهيرية المختلفة ، ويقدم للمتلقى مادة تروح عنه وتخفف من توتره وتمتعه وتسليه وتضحكه ؛ ولكنها ــ وهذا مهم جدا ــ لاتضلله ولا تخدره ولا تمنعه من التعمق فى فهم نفسه ، وواقعه ومجتمعه وعصره وعالمه . إن المقصود بالترفيه فى هذا البحث ليس ذلك الترفيه النظيف والصحى والطبيعى ؛ بل هو ذلك الشكل الخاص جدا منه ، الذى يجرى توطيده و ترسيخه عالميا فى ظل التطورات المتسارعة التى شهدها ويشهدها عالمنا والمتمثلة فى المتغيرات العاصفة ولكن العميقة والسياسية والاقتصادية والعسكرية ...الخ ، المقصود ذلك الترفيه النمطى الذى يقدمه التلفاز (وهو لا يشمل بالطبع جميع أنواع الترفيه التى يقدمها التلفزيون متعمدا وبشكل منهجى ومخطط ومدروس

ويتضمن صورة مضلله ومزورة للواقع بهدف تحقيق اهداف محددة وخدمه مصالح معينة (١٦) .

ومن المظاهر البارزة للمبالغة فى انجازالوظيفة الترفيهية أن المؤسسات الاعلاميه الدولية المعاصرة ، وبحكم المحاكاة والتقليد المؤسسات الإعلامية العربية ــ تعطى أهميه خاصة لمواد الترفيه فى التلفاز ، وتحشد لها امكانات مادية وبشرية ضخمة ، ويتم جذب أذكي المواهب إليها عبر تقديم أعلى الحوافز المادية والمعنوية . وهذا ما يجعل ممكنا تقديم هذه المواد بلغة تلفزية متقدمة ، وبحرفية عالمية ، يجعلها أكثر المواد التلفزيونية مقدرة على الوصول إلى المشاهد ، وعلى التاثير فيه ، وتزداد أهميه التاثير الذى تحققه مواد الترفيه على المشاهد لأنها تؤثر بطريقة غير مباشرة وغير مواجهية وغير علنية وبالتالي غير محسوسة وتتضاعف قوة تأثير مواد الترفيه التى يقدمها التلفزيون أيضا من جراء حقيقه بالغة الأهمية ؛وهى أن المشاهدين (كبارا أو صغارا) لا يعون حقيقه أنهم عرضة للتأثر من خلال هذه المواد التى تبدو بريئة ، ولاتستهدف تحقيق أية أهداف أو خدمه أية مصالح حسب تعبير شيللر "تجسيدا فعليا للتحكم بالوعي" . (١٧)

وثمة ملاحظات أساسية يمكن تسجيلها على ما تنشره الصحف وما تبثه محطات الإذاعة وقنوات التلفاز العربية من مواد ترفيهية على النحو التالى :

١ــ أن وسائل الإعلام تبالغ كثيرا فى أدائها للوظيفة الترفيهية ، وتجد هذه المبالغة جذورها فى السياسات الإعلامية التى تحكم وسائل الإعلام ؛ وهنا فان مراجعة السياسات الإعلامية تكشف عن اهتمام صانعى القرار بضرورة تخصيص الجانب الأكبر من صفحات الجرائد والمجلات والجانب الأكبر من المساحات الزمنية فى الإذاعة والتلفاز لحساب تعزيز الوظيفة الترفيهية. ولعل هذا ما يفسر مثلا أسباب اهتمام الصحف بأخبار الحياة الشخصية للفنانين والفنانات ولاعبى كرة القدم ورجال الأعمال والتوسع فى المعالجات الصحفية التى تعنى بشؤون الحوادث والجرائم وفضائح المشاهير

والطرائف المحلية والعالمية ؛ ويفسر أيضا استئثار الأغانى والمسرحيات والأفلام وبرامج المنوعات بالنصيب الأكبر من الوقت طوال فترة البث الإذاعى والتلفزيونى .

٢ــ المعادل الموضوعى للمبالغة فى انجاز الوظيفة الترفيهية على النحو الذى يلبي متطلبات السياسة الإعلامية هو ضعف الاهتمام بانجاز الوظائف الأخري أو انعدامه فى فترات أو مراحل معينة .

تعتبر الوظيفة (الإخبارية) لوسائل الإعلام المحور الرئيسى لعملها ومع ذلك فان هذا لا يعنى أنها تحتل مساحة مشابهة أو متقاربة مع الوظيفة الترفيهية على النحو الذى يتسق مع مكانتها المركزية كمحورلعمل وسائل الإعلام ، غير أن أزمة الوظيفة الإخبارية والإعلامية لوسائل الاتصال الجماهيري فى الوطن العربي لا تعود الى تقلص المساحة الورقية أو الزمنية التى تخصص لها فحسب ؛ فهناك بعد آخر يتصل بمدى الكفاءة فى انجاز هذه الوظيفة ؛ ذلك لأن الخدمة الإخبارية العربية تفتقر إلى روح المبادرة فى التغطية والحرص على السبق ، وتتجه فى حالات كثيرة للعناية بالأشخاص والمسئولين ويكون ذلك ــ غالبا ــ على حساب الموضوعات والقضايا التى تشغل الاهتمام الجماهيرى ، وكثيرا ما تفتقرإلى الإجابة عن علامات الاستفهام الأساسية . فى الوقت الذى ينصرف اهتمامها إلى الإجابة عن علامات الاستفهام الهامشية . ويلاحظ على هذة الخدمه أيضا الميل إلى الصمت أو السكوت فى حالات متعددة عن معالجة موضوعات مهمة. وكثيرا ما تعمد إلى الإثارة وتفتقرالى الدقة ، وتعوزها المصداقية أو التوازن ، ولهذا ولأسباب اخرى ، يفشل هذا النوع من الخدمات الإخبارية فى تلبية احتياجات القراء والمستمعين والمشاهدين . وتلك هى المبررات الموضوعية التى تدفع الجمهور نحو وسائل الإعلام الأجنبية أملا فى الحصول على خدمة إخبارية تقوم على احترام عقليته وتقديرحقه فى المعرفة وتستجيب لاحتياجاته وتلتزم فى مخاطبته بمراعاة الدقه والصدق والتوازن والموضوعية .

وإلى جانب ضعف مكانة الوظيفة الإخبارية مقارنة بالوظيفة الترفيهية، تعانى الوظيفة الرقابية لوسائل الإعلام العربية من ضعف أكبر ، قد يتطور فى بعض الفترات إلى ضمور ينتهى بغياب كامل أو شبه كامل. تقوم الوظيفة الرقابية على الاقرار بحق وسائل الإعلام فى مراقبة الاداء العام فى المجتمع ونقدة والكشف عن جوانب النقص والقصور والتنبيه إلى مواقع الخطر والدعوة إلى التصحيح بما يمكنها من انجاز التغيير فى مجالات تتعرض فيها مصالح المجتمع للخطر.

وكلما نجحت وسائل الإعلام فى انجاز وظيفتها الرقابية ؛ كلما اكتسبت حيوية واتسع نطاق توزيعها وتعزز نفوذها الجماهيري ولكن هذا النجاح يتطلب بالضرورة وجود مناخ ديمقراطى يقر بحق الصحفيين فى النقد والمراجعة ويراه ضروريا لتمكين المجتمع من ممارسة "التصحيح الذاتى" بنفسه، ولنفسه ، عبر صحافته ووسائل إعلامه التى تمثل " وكيلاً " له ينوب عنه فى البحث عن الإصلاح والتطوير والتغيير .

٣ــ يبدو صعود مكانة الوظيفة الترفيهية لوسائل الاعلام فى الوطن العربي مرتبطا بعوامل موضوعية تمثل المصدر الرئيسى للدفع بها إلى موقع متقدم فى التخطيط لسياسات الاعلام . أولها ــ تحرر المواد الترفيهية من الرقابة أوالقيود التى يمكن أن تفرض على بقية المواد فى ظل تصورسائد ينظر إلى هذه المواد على أنها مواد " بريئة" لا تتضمن " أفكارا " مثيرة للقلق؛ ولا تنطوى على "قيم" أو " مفاهيم" أو" تصورات" يمكن أن تتسلل إلى العقول وتؤثر فى بناء الشخصية وتشكل معالمها . وكثيرا ما يقال ، ثانيا: إن الناس فى أشد الحاجة إلى الترفيه فى ظل معاناة الحياة اليومية التى يعيشون فيها ومن ثم فإن الاهتمام الإعلامى بهذا النوع من المواد يلبي احتياجات واقعية لا يصح تجاهلها . وكثيرا ما يقال. ثالثا: ــ إن وسائل الإعلام ينبغى أيضا أن تتجنب نشرأو بث ما يخلق النظرة التشاؤمية لدى الفرد تجاه بيئته وتجاه النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى يعمل من خلالها . ومن ثم تصبح الكوميديا الإذاعية والتلفزيونية والسينمائية والمسرحية ضرورة من

ضرورات إشاعة جو من الفرح والسرور وزرع الأمل فى النفوس . وكل هذه العوامل تحتاج إلى إعادة نظر ومراجعة ؛ لأن التصور القائل بأن المواد الترفيهية مواد بريئة لا تنطوى على قيم أو مفاهيم أو تصورات تؤثر فى بناء الشخصية يتعارض تماما مع نتائج البحوث العلمية المعتمدة فى هذا مجال. فهذا النوع من المواد ــ إلى جانب غيره ــ " له امكانية التأثير فى الكيفية التى يفكر ويشعر ويتصرف بها الناس . " ويرى الباحث الامريكى ولبر شرام أن ما يتعلمه الطفل من التلفاز يكون بمثابة كسب يأتى ضمن المواد المعدة للترفيه. ويؤكد الرأى ذاته الباحث الاسترالى غــ٠نوبل : " أكدت جميع البحوث التى قمت بها ، وعلى نحو متكرر أن الاطفال يتعلمون من برامج التسلية والترفيه ، أكثر مما يتعلمون من البرامج التعليمية . واستنادا إلىالحقيقة السابقة يمكن تاكيد لاواقعيه (خداع أو أسطورة على حد تعبير هربرت شيللر) مقوله تجرد المادة الترفيهية التلفزية وخلوها من الأفكار والقيم ووجهات النظر . كما يمكن تاكيد لامصداقية زعم وجود المادة الترفيهية خارج العملية الاجتماعية . ويصبح ممكنا بالتالى فهم آراء الباحث الامريكى اريك بارنو (الذى يوصف عادة بانه مؤرخ التلفاز الامريكى) :" إن مفهوم الترفيه ؛ مفهوم شديد الخطورة اذ تتمثل الفكرة الأساسية للترفيه فى أنه لا يتصل من بعيد أو قريب بالقضايا الجادة للعالم وإنما هو مجرد شكل أو مجرد ملء ساعة من الفراغ ؛ والحقيقة أن هناك أيديولوجية مضمرة بالفعل لكل أنواع القصص الخيالية (الترفيه عموما) لأن عنصر الخيال يفوق فى الأهمية العنصر الواقعى فى تشكيل آراء الناس ** أما الزعم أن الترفيه لاينطوى على أيه سمة تعليمية فيعلق عليه شيللر بقوله" ينبغى أن ننظر إليه بوصفه أحد أكبر الخدع فى التاريخ . وبناء على ذلك " تقوم المادة الترفيهية التلفزية بدور تثقيفي وتربوى وقيمى وسلوكى مبرمج ومخطط له . يؤكد الباحث الأمريكى ميلفن دنفلر" يمكن رؤية الاعتماد القوى لوسائل الإعلام على النظام الترفيهى بسهولة أكثرفى تعديل القيم والقواعد السلوكية "

أما أن وسائل الاعلام ينبغى أن تنشغل بزراعة الأمل فى النفوس وتجنب نشر أو بث ما يخلق النظرة التشاؤمية لدى الافراد ؛ فان هذا قد يكون مقبولا بل ضروريا فى حالات أو مراحل معينة تجابه فيها الأمم والشعوب تحديات تجعل من تعبئة الرأى العام ضرورة من ضرورات النجاح فى مواجهة التحديات . دون أن يقلل ذلك من الحاجة الدائمة إلى هذا النوع من المواد فى المراحل العادية بالقدر الملائم والمناسب .

فى الظروف العادية ؛ كثيرا ما يفضى زرع الأمل فى النفوس إلى خلق الوهم الكاذب لدى الفرد بأنه يعيش حياة سوية وليس له أمل إلا أن يترك نفسه لهذا النوع من المواد لكى " يستمتع" بالحياة ؛ وكلما ترك نفسه أكثر وأكثر كلما حصل على نصيب أوفر من المتعة . وعبر أنواع متعددة من المواد الترفيهية التى تتسم بالجاذبية والإثارة والتشويق تتزايد احتمالات اغراء الفرد وتحريك غرائزه باتجاه تخصيص الجانب الأكبر من وقته فى التعرض للمواد الترفيهية .

على الجانب الآخر فإن القول بأن وسائل الإعلام ينبغى أن تتجنب نشر أو بث المواد التى قد تخلق نظرة تشاؤمية لدى الفرد تجاه بيئته ونظم حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، ينطوى على اقتناع ضمنى بأن وسائل الإعلام تملك القدرة على أن تبعد الأفراد تماما عن مشاعر الحزن والاحساس بالبؤس او الاكتئاب والقلق . وذلك أمر يفتقر إلى الصواب لأن البناء النفسى للانسان يقوم على وجود النوعين من المشاعر معا لدى الانسان . الفرح والحزن . الامل والياس . التفاؤل والتشاؤم . وتخرج هذه المشاعر إلى الوجود العلنى كلما حركتها مثيرات أو منبهات تمتلئ بها تطورات الحياة اليومية . وليس من المناسب تصوير دور وسائل الإعلام فى الحد من النظرة التشاؤمية لدى الأفراد على أنه "فعل ايجابي" فى كل الحالات؛ بل على العكس من ذلك ينبغى دفع وسائل الإعلام لكى تقوم بدورها فى إثارة مشاعر" الحزن النبيل" لدى الفرد حين ترتبط هذه المشاعر بتحريك غضب الافراد تجاه كل خطأ أو انحراف أو فساد يلحق ضررا بالغا

بمصالح المجتمع ؛ وتغذية الاستعداد للرفض وعدم القبول فى مواجهه أشكال الاعتداء المختلفة التى يتعرض لها النظام العقدى والقيمى للمجتمع ؛ وإذاكانت هناك نظم سياسية واقتصادية واجتماعية متباينة تحرص على توظيف وسائل الاتصال الجماهيرى على النحو الذى يلزمها بتجنب خلق النظرة التشاؤمية . فإن هذا لايفضى إلى انجاز نجاح بالضرورة ؛ لأن وسائل الاتصال لا تملك القدرة على ابعاد الأفراد عن أجواء التشاؤم والحزن والقلق لمجرد أنها تنشر وتبث موادا ترفيهية تجنبهم الاقتراب من هذه المشاعر. وستبقى مشاعر الحزن والقلق والتشاؤم وربما الاكتئاب ؛ على الرغم مماتبثه وسائل الإعلام من جهد من أجل وأد هذه المشاعر ؛ حين يعيش الافراد واقعا اجتماعيا يرزحون فيه تحت ضغوط هائلة لعل أبزرها المعاناة المستمرة فى البحث عن فرصة عمل دون أن يجدوها والحرمان من الحق فى التعليم ؛وبقاء الحق فى سكن مناسب وملائم حلما يداعب خيالهم ؛ والمكابدة فى الحصول على الغذاء والكساء والماء والكهرباء والشعور بالغبن نتيجة فقدان العداله و الاتصاف والاعتداءعلى الحق فى الحرية والاستقلال والكرامة .كلها أو بعضها ــ وغيرها كثير ــ معالم بارزة لأزمة الانسان فى العالم المعاصر وتجاوز هذه الأزمه لا يمكن أن يكون مسئولية وسائل الاتصال بمفردها.

٤ــ إن زيادة معدل التعرض للمواد الترفيهية يقود ــ على المدى الطويل ــ إلى تكريس عزلة الفرد عن بيئته الاجتماعية حيث أن الانصراف إلى متابعة هذا اللون من المواد يحد كثيرا من فرص تعزيز العلاقات الانسانية بين أفراد الأسرة الواحدة . ويسهم فى خلق الانسان السلبي الذى تتراجع اهتماماته بقضايا مجتمعه ومشكلاته .

ومن اللافت للنظرأن المحاكاة العربية لوسائل الإعلام الغربيةعموما والأمريكية خاصة فى الاهتمام المتزايد بالمادة الترفيهية تستند إلى النقل الاعمى ولا تستفيد بدروس الخبرة الأمريكية والأوربية فى هذا المجال :

يقول هربرت شيللر؛ منبها الى الآثار الضاره للمواد الترفيهية " تقود هذة المواد إلى نتيجه معينة ، وهى السلبية الفردية أى حالة القصور الذاتى التى تعوق الفعل ؛ وذلك فى الواقع هو الشرط الذى تعمل وسائل الإعلام والنظام ككل بنشاط جم على تحقيقه ؛ حيث أن السلبية تعزز وتؤكد الابقاء على الوضع القائم . وتتغذي السلبية على ذاتها ، مدمرة القدرة على الفعل الاجتماعى الذى يمكن أن يغير الظروف التى تحد من الانجاز الانساني .إن الأمرلا يقف عند هذا الحد؛ إذ أن هذا النوع من المواد يفضي إلى تحجيم النشاط العقلى ؛ الذى يمثل المحصلة النهائية للعدد اللانهائى من ساعات الارسال المملوءة ببرامج مبلدة للعقول ؛ وهذا التحجيم يفوق أي حساب أو تقدير . كذلك لا يمكن حصر أو قياس التاثير التسكينى الذى يتعرض له الوعى النقدي ؛ رغم الأهمية البالغة التى ينطوي عليها هذا التاثير؛والثابت أن هذا اللون من المواد " يستاصل تماما ضرورة أن تكون نشطا ذهنيا ؛ فذهنك يظل مشغولا بطريقة ملتبسة ، ويتم شغل الحواس التى يفترض أن تلتزم بالأحرى بفعل شىء ايجابي. (١٨)

٥ ــ زيادة نسبه الاعتماد على المواد الترفيهية المستوردة . فى هذا المجال تمثل الولايات المتحده الامريكيه المصدر الرئيسى ؛ إذ تبيع أكثر من ٢٠٠ ألف ساعة سنويا ؛ ثلثها تقريبا يجد طريقه إلى أمريكا اللاتينية والثلث الآخر للشرق الاوسط والأقصي والباقى إلى أوروبا الغربية ، وتعتمد شركات الانتاج التلفزي فى أمريكا إلى بيع برامجيا بأقل من أسعار التكلفة إلى الخارج لانها تكون قد حصلت على أرباحها من البيع الأول فى السوق الامريكية(١٩).

وفى كثير من دول العالم الثالث عجز عن انتاج المواد الترفيهية بالقدر الذى يسمح بتغطية احتياجاتها ، مما يضطرها إلى الاستيراد ولديها من الأسباب ما يدفعها إلى ذلك ؛ فهى قد لا تملك المخصصات المالية اللازمة للانتاج ، ولا تتوفر لديها الخبرات البشرية والفنية التى يتطلبها انتاج هذا اللون؛ ولا تملك التكنولوجيا اللازمه للإبهار كما هو الحال لدى مؤسسات الانتاج الأمريكي الكبري.

" وقد قدم الباحث السوسيولوجى جوركى تابيا (من البيرو) تحليلا شاملا للمواد الترفيهية التلفزية الأمريكيه ؛ أوضح فيه أن هذا النموذج من الترفيه يبرز ويؤكد ما يلى:

أ ــ البيئة هى مجتمع استهلاكى غارق فى الرخاء المادى ؛ وخال من التناقضات والصراعات.

ب ــ القيم الاساسية المعروضة هى : الفردية والأنانية المقترنة بمنافسة عميقة .

ج ــ النجاح والسعادة فى الحياة أن تكون فوق الآخرين ؛ فيما يتعلق بالرخاء المادي المتمثل فى امتلاك الاشياء ؛ والاستمتاع بالخدمات ؛ وهذا ما يمثل الهيبة والاحترام والنفوذ.

د ــ المجتمع يكافىء الذين يكسبون هذه اللعبة ؛ ويعاقب الذين يخسرونها.

هـ ــ هؤلاء الذين يظلون خاسرين ؛ يجب أن يرضوا بنصيبهم ؛ على أنه من صنع "القدر" و" المشيئه العليا" ونتيجه لعدم كفاءتهم وقلة موهبتهم ويجب بالتالى أن يتسم سلوكهم بالتسليم والرضوخ وليس بالتمرد والعدوانية لان هذا هو النظام الطبيعى للأشياء ؛ ويجب ألا يتغير وإذا كان هو نمط القيم السائد فى الانتاج الأمريكي للمواد الترفيهية فإنه يتناقض مع القيم (الفكرية والأخلاقية والاجتماعية والدينية ...الخ) السائدة أو (التى كانت سائدة) فى البلدان النامية.

٦ ــ فى حالات كثيرة يدعو التركيز على الوظيفة الترفيهية وتأكيد التزام وسائل الإعلام بها إلى موقف يقوم على الريبة والشك فيما يكمن وراء ذلك من أهداف ومقاصد : قد يكون الهدف الرئيسى للصعود المفاجئ والمتزايد للمادة الترفيهية فى وسائل الاعلام تحويل الاهتمام الجماهيرى بعيدا عن " قضايا جادة" ينبغى أن تستأثر بالنصيب الأكبر من الاهتمام وتسليط

الضوء على أمور هامشية ، جانبية، لاعلاقه لها بـــ" المصالح العامة " فى المجتمع .

لا تقوم وسائل الإعلام بهذا الدور عادة من تلقاء نفسها ؛ ولكنها "توظف" من أجل الحد من القلق والاستياء والغضب فيما لو انصرف اهتمامها إلى معالجة قضايا أخرى ومنحتها أولوية فى ممارساتهاالصحفية والإذاعية (مذياع وتلفاز). وتعمد الحكومات إلى ممارسة ضغوط قوية على المؤسسات الإعلامية لكى تلزمها بسياسة تقوم على نشر ما يسمى (بالمواد الخفيفة) من الطرائف والنكات والقصص والحكايات وأسرار الحياة الشخصية للفنانين والفنانات وجرائم الآداب العامة وفضائح المشاهير وجرائم القتل والاغتصاب وحوادث المرور وضحايا الطائرات والزلازل والأعاصير والفيضانات وماسى الجوع والأوبئة وقصص الجاسوسية والحب والغرام والخيانة والغدر فى الجرائد والمجلات مقترنة بهوس تلفزي أكبر ببرامج المنوعات والحوارات مع الفنانين والفنانات وبرامج المسابقات ومباريات كرة القدم والتعليق عليها واستقبال المكالمات بشانها والأغانى والمسلسلات والأفلام والمسرحيات ومسابقات ملكات الجمال وعروض الأزياء والرسوم المتحركة وبرامج المرأة والطفولة والمطبخ غربيا كان أو صينيا أو يابانيا أو هنديا أو عربيا .

وكثيرا ما تلتقى رغبة الحكومات فى هذا اللون من التوظيف مع رغبة القوى الأجنبية عندما يتعلق الأمر بخدمة مصالح هذه القوى فى تسكين ردود الفعل الجماهيرية وضمان الفوز بالصمت والاطمئنان إلى الوعى أو اليقظه الذهنية والفكرية تجاه ما تخطط له تلك القوى فى الوطن العربي .

فى هذا الصدد يتعين على الباحث إثارة التساؤلات التالية :

• هل من قبيل المصادفة أن تقترن بداية الاحتلال الأمريكي للعراق بتأسيس محطه تلفزيونية " عراقية " تبث ما يثير الغرائز ويخاطب أحط ما فى النفس البشرية ؛ وتجعل من "المواد الاباحية " العمود الفقرى لما تقدمه من برامج ؟

• ايمكن أن تكون الولايات المتحده الامريكية جادة فى العمل من أجل بناء الشباب العربى حين اتجه اهتمامها نحو تخصيص ميزانيات ضخمه لدعم المشروعات الرياضية والانفاق على الأندية والنشاط الرياضى ودفع وسائل الإعلام (العراقية) إلى القاء الضوء عليها واستقطاب أعداد هائلة من الشباب للمشاركة فى فعالياتها ؟

• إذا كانت الولايات المتحدة تملك القدرة على ممارسة ضغوط تبعد وسائل الإعلام (العراقية) عن التركيز على القضية الأساسية وهى احتلال العراق وتدمير قواه والسيطرة على ثرواته وانتهاك سيادته وابادة شخصيته الوطنيه والقوميه ؛ فهل تملك القدرة ذاتها فى الضغط على وسائل الاعلام العربيه ؛ لكى تتبنى سياسه تقوم على صرف أنظار الجماهير العربية بعيدا عن الخطر الذى يهدد وجودها وسيادتها واستقلالها السياسي والاقتصادى والثقافى ؟

• اذا كانت وسائل الإعلام العربية تتمتع بالاستقلالية حقا ؛ فلماذا اقترن الغزو الأمريكي للعراق ونجاحهم فى دخول عاصمه الرشيد ؛ بنشاط تلفزى عربي يقوم على بث برامج منوعات أغلبها فاضح ؛ وأغان تمثل إهانه لتراث العرب الغنائى بما فيها من عرى وفحش وتأوهات ، ومسرحيات ارتبط اسمها فى الذهنية الجماهيرية بالهبوط والاسفاف والابتذال ؟

• وهل من قبيل المصادفة أيضا أن يقترن الاحتلال الامريكي للعراق بولادة لبرنامجين أثارا ضجة هائله فى العالم العربي ؛ أولاهما Super Star ؛وثانيهما Star Academy ؛ وكلاهمايقوم على تعزيز الاهتمام الجماهيرى بما يجري فيهما من وقائع ودفع أكبر عدد ممكن من الأفراد من سائر أنحاء الوطن العربي للمشاركة عبر الاتصال التليفونى ـــ بالتصويت على ما يثار فيهما ؟

• ألا يدخل ذلك كله فى مجال الخطط الرامية إلى السيطرة على الجمهور والتحكم فى الرأى العام عبر تحديد "نوع الاهتمامات " التى يمكن أن تؤثر فى تفكيره ومواقفه ؟

• ألا يعد هذا اللون من السياسات الإعلامية والمواد والبرامج الترفيهية تغييبا للانسان وتخديرا للعقل العربي المسلم لكى يبقى بعيدا عن قضاياه المركزية فى فلسطين والعراق وافغانستان؟

• ألا يخدم الاهتمام المتزايد بالمواد الترفيهية فى وسائل الإعلام العربية أهداف الولايات المتحدة الأمريكية ومشروعها فى إقامة " الشرق الاوسط الكبير" بديلا للوطن العربي والقومية العربية والثقافة العربية؟

القسم الرابع

العولمة وثقافة الطفل العربى : الألعاب التربوية نموذجا

فى شهر اذار/ مارس ١٩٩٣ أوردت صحيفة "الحياة" العربية الصادرة فى لندن ثلاثة أخبار ، ربما بدت للوهلة الأولى لاتمت لبعضها بصلة :

الخبر الأول : وتحت عنوان " الوحدة فى ألعابهم أيضا" ذكرت الصحيفة أنه فى اطار التحضيرات الجارية ، استعدادا لوحدة أوروبا ، أنتجت لعبة تربوية جديدة للصغار، تدور حول وحدة أوروبا ، وتوزع فى كافة أقطارها .

الخبر الثاني : بتاريخ ٢٨ اذار / مارس١٩٩٣ وزعت جوائز اوسكار فى الولايات المتحدة ، ورشح فيلم "علاء الدين " للرسوم المتحركة انتاج والت ديزنى لعدة جوائز ؛ نال منها جائزتين لأفضل موسيقى ولأجمل أغنية بعنوان " عالم جديد" . ونشير إلى أن الفليم يبدأ بأغنية تصف بلاد "علاء الدين" كالآتي " أنا قادم من أرض ؛ من مكان بعيد ؛ حيث تجوب قوافل الجمال ؛ حيث يقطعون أذنك إذا لم يعجبهم وجهك ؛ هذا بربرى ولكنه بيتى".

الخبر الثالث : بتاريخ ٦ اذار / مارس ، ورد الخبر مفاده أن ثلاثة ممولين عرب اشتروا "البيت الأبيض" فى لندن وهو فندق كبير يتسع لـــ(٥٠٠)غرفة وأن اصلاحات كبيرة ستجرى على الفندق تسمح بانتقاله من مرتبة الثلاث نجوم إلى الأربعة .

تعود بنا هذه الاخبار قليلا إلى الوراء إلى القرن الثامن عشر . فنقرأ أن الأخوين "جريم " كانا يجوبان البلدان والقرى فى الولايات الألمانية المفككة ؛ يقصان الحكايات الفلكلورية على أطفالها بلغة جرمانية واحدة ؛ وكانوا بذلك يعبدون الطريق أمام الوحدة الألمانيه الأولى .

ونقرأ خلال الحرب العالمية الثانية أن البواخر فى روسيا حملت بعيدا عن القصف والدمار ما اعتبره الروس أثمن مايملكون : الأطفال والتماثيل

القديمة ؛ التاريخ والمستقبل فى وقت بدا الوطن فيه ــ كله ــ فى مهب الريح .

وتستوقفنا كل هذه الاخبار القديمة منها والحديثة لتلقى الضوء على جوانب من "القضية " التى نعالجها ؛ وهى وسائل ثقافة الأطفال العرب .

ووسائل ثقافة الأطفال متعددة ومتنوعة وتشمل "الكتب والألعاب والافلام وأدوات الموسقى والمجلات الخ... وهذه ليست ضرورة تربوية ووطنية وإنما ضرورة حضارية ومستقبلية فلوسائل الثقافة مهمة ترتبط بالتنشئة الاجتماعية للطفل ؛ أى تهيئته لكى يصبح عضوا فاعلا فى مجتمعه . وهذا يتضمن شقين :

أولاهما : نقل ثقافة المجتمع بما فيها من قيم ومفاهيم وأنماط ساوكية للافراد ، وبالتالى تكوين هويتهم الثقافية .

ثانيهما : تنمية طاقاتهم ومهاراتهم لأخذ دور محدد فى هيكلية المجتمع. مما تفرضه من سلوك مقبول ومتوقع حسب ثقافة المجتمع . .

. وللتنشئة الاجتماعية دور ثالث : يعنينا كمجتمعات نامية وهو تنمية الإبداع لدى الأفراد ليصبحوا قادرين على إحداث التغيير والتقدم فى مجتمعاتهم ليرقوا بها إلى مصاف المجتمعات المتقدمة .

ــ وسائل ثقافة الطفل العربى : الألعاب التربوية والتثقيفية مجالا للتطبيق:

لقد ارتبطت الألعاب دوما بالثقافة واعتبرت احد أهم عناصرها ؛ كما اعتبرت وسيلة من وسائل نقلها من جيل إلى جيل ؛ بل لقد اعتبر عالم الاجتماع "هويزنجا " أن الممارسات الثقافية للمجتمعات فى الغالب انما بدات بفعل اللعب . أما من الناحية التربوية ؛ فقد اعتبرت الألعاب احدى أهم الوسائل التربوية لتربية الطفل من تلقاء نفسه بحماسة بالغة ؛ وينغمس فيه ساعات وقداعتبره التربويون احدى عوامل نمو الطفل ؛ إذ يشمل انغماسه بها جميع حواسه وجسده وعقله ؛ كما يتعامل معها بمنتهى الجدية ملتزما

قوانينها بقناعة تامة ، ومن هنا جاءت أهمية اللعب من الناحية التربوية . فمن خلالها يمكن أن يتم ايصال المفاهيم والمعلومات وتطوير المهارات ونقل الثقافة بل هى عملية تتم من خلالها التنشئة الاجتماعية بشكل سليم وشامل(٢٠).

لذا فإنه وفى مجال التحضير للوحدة الأوروبيه والى جانب تغيير جوازات السفر والاجراءات الادارية المختلفة جاء انتاج لعبة تثقيفية شملت بلدان أوروبا لتهيء للوحدة كجزء من عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال . وفى بلادنا أى واقع للألعاب .. الوسيله الثقافيه الهامة التى تلازم الطفل أينما كان ؟

إن الالعاب المتوفرة فى الأسواق العربية هى بكليتها مستوردة إما من الغرب أو من الشرق الأقصى . ما عدا استثناءات لا تعدو بعض حالات. وهذه الألعاب بجملتها هى باللغات الأجنبية ؛ إما الأنجليزية أو الفرنسية وقليل منها جدا بالألمانية.

وحتى الألعاب المستوردة من الشرق الأقصى (كاليابان وتايوان وكوريا) هى بغالبيتها الساحقة باللغة الانكليزية أيضا ؛ بل يغلب عليها شكلا ومضمونا طابع التقليد للألعاب المصنوعة فى الغرب . بالاضافة إلى ندرة فى الالعاب التى ترجمت إلى اللغة العربية من الغرب أو الشرق الأقصى .

وتشمل الألعاب التربوية التثقيفية أولا الألعاب الفردية التى تستخدم فى البيت والمدرسة على حد سواء وتهدف الى تنمية مدارك الأطفال ومفاهيمهم ومهاراتهم الجسدية والعقلية والحسية والاجتماعية ، وغالبية هذه الالعاب مصنعة فى الدول الأروبية "كفرنان ناتان" فى فرنسا و"رافنسبر جر " فى ألمانيا و" كيدي كرافتوميريت " من بريطانيا و"ليجو"من سويسرا والدنمارك و"جومبو" من هولندا و" فيشر برايس ووتشايد جايدنس " من أمريكا بالاضافة إلى بعض المجموعات من الشرق الاقصى ككوريا واليابان كـــ"داركن "و" كوادا"

وتشمل هذه الألعاب التركيبات والمكعبات والمجسمات والدمى بكافه أنواعها . وقد صنعت بطريقة مدروسة مادة ومضمونا لتتلائم مع خصائص الطفل فى مراحله المختلفة . إلا أنها بكل عناصرها هى ابنة بيئتها التى صنعتها ؛ إذ هى تهدف إلى التنشئة الاجتماعية لأطفالها . ويظهر ذلك من خلال الرسوم والأشكال ؛ فالبيوت شكلها غربى والدمى الأجمل هى تلك الشقراء ذات العينين الزرقاوين ؛ والحيوانات هى تلك الموجوده فى بلاد الغرب ؛ كالدب والخنزير ودب الباندا؛ وقلما تجد دمى أو رسوما للحيوانات الموجودة فى بيئتنا كالجمل والحمار وحتى الحصان بينما نجدها فى تراثنا الشعبى أبطال قصص وأغان .. وأمثلة شعبية .

وتشمل الألعاب التربوية ثانيا الألعاب"الجماعية" وهى تلك التى يشترك فيها أكثر من لاعب وتستخدم عادة فى البيوت والنوادى وحتى المدارس .وتجسد هذه الألعاب مسائل تتعلق بحياة الكبار بشكل مصغر فتسهم فى تهيئة الأطفال ليصبحوا أعضاء فاعلين فى مجتمعهم . ونتوقف هنا عند نموذجين لعبة" المونوبولى "من انتاج باركر الكند ية و" الترفال برسوت" الأمريكية . وقد تمت ترجمتهما إلى اللغة العربية.

فلعبة "المونوبولى" وترجمتها "الاحتكار" هى لعبة جماعية توجه الطفل نحو المجتمع الرأسمالى . حيث التنافس الفردى فيه هو القيمة العليا . وحيث الرابح هو الرأسمالى الأكبر المحتكر لجميع مرافق الحياة فى المجتمع؛ الأراضى والبيوت والفنادق والشوارع ومصلحة المياه والكهرباء ومحطات القطار . فكل هذه المرافق تقع ضمن نطاق الملكية الخاصة .ويتنافس عليها اللاعبون . ولا يربح أى منهم إلا بضرب الآخرين والكسب هو من الزملاء وعلى حسابهم . فالفرد لا يقوي إلا باضعاف الآخرين والاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم . فكلما كسب أحدهم بخسارة زميله تغمره الفرحة ونشوة الانتصار .

وقد بادرت احدى المؤسسات بانتاج لعبة عربية بعنوان " بتروبوليس " وهى على نمط المونوبولى ؛ ولكن الصراع فيها ليس على جميع مرافق

الحياة وإنما على آبار النفط فقط . وكأن آبار النفط فى بلادنا ملك للأفراد . ولكن التقليد للغرب قد أثر على مصممى هذه اللعبة فجاءت تقليدا غير موفق للمونوبولى .أضف إلى ذلك سوء تصنيعها . ومنذ بعض سنوات راجت لعبة أمريكية فى الولايات المتحدة الأمريكية ولاقت رواجا فى العديد من بلاد العالم ومنها بلادنا. وهى لعبة "الترفيال برسوت" أى "السعى وراء الهامشى". وهى عباره عن لعبة تتضمن سته آلاف سؤال وجواب؛ حول سته موضوعات وهى ؛ الرياضه الجغرافيا . التاريخ .الفن. الأدب. العلوم . ولقد لبت هذة العبة حاجه للتحدى فى المعلومات وهى متعة تستهوى الكبار والصغار معا. إلا أن نوع الأسئلة الواردة فى هذه اللعبة هو الذى يدعو إلى الملاحظة . فهى أولا كما يعبر اسمها هامشية ، كما أنها بغالبيتها الساحقه تعبر عن المجتمع الأمريكي؛ وتفاصيله وبعض من المجتمع الأوروبى وتحديدا الأنجلوسكسونى . فهى توجه لرؤية التفاصيل الهامشية للأحداث والشخصيات وتتجاهل ما يجعل هذه الشخصيات والأحداث هامة ؛ هى تذكر بعض ا لشخصيات المهمة فى الأسئلة . ولكن بدلا من أن تسال عن أهم عمل لهذه الشخصيات تاريخية كانت أم علمية أم أدبية ؛ تسأل عن الأكلة المفضلة أو الموسيقى المفضلة لديه . وبالاضافه إلى هذا تحمل الأسئلة فى طياتها موقفا أمريكيا من العديد من القضايا السياسية والثقافية فى العالم ؛ فترى موقفا سلبيا من بعض الأمم والشخصيات يظهر بصياغة السؤال الذى يعبر عن استخفاف وتزييف .

وبالنسبة لنا نحن العرب ؛ فالاسئلة حول اسرائيل تظهرها دوله قائمه وأمرا واقعا ، والعرب أقرب إلى البربر .. من هذه الاسئلة :

ـــ من هما اللذان فازا بجائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٨؟

مناحم بيجن وأنور السادات

ـــ ما هى الرواية التى كتبها ليون بوريس حول ولادة اسرائيل؟

الخروج

ـــ ماذا كان فيلم هتلر المفضل ؟

كينج كونج

— فى أى رواية يصور جورج لورويل خنزيرا اسمه نابليون ؟

مزرعة الحيوان

— من هو العالم الذى ذهب إلى الكلاب ليكتب عن الفعل اللاارادى المشروط ؟

ايفان بافلوف

— ماهى سلسلة حملات لتخليص الأراضى المقدسة من المسلمين الاتراك ؟

الصليبية

— من هى الملكة المصرية التى تزوجت اثنين من اخوتها؟

كليوباترا

— من هو الملك العربى السعودى الذى قتل على يد ابن اخيه عام ١٩٧٥؟

فيصل

إن هذه النماذج تعطى فكرة ولو بسيطة عن حدود اللعبة ؛ فصورة العرب هى الشواذ والهمجية ؛ ان المواقف المستخلصه من هذه اللعبة والتى تؤثر على مواقف الاطفال تتناقض مع المبادئ العامة السائدة فى مجتمعنا فتكون لها مساهمتها فى " أمركه" تفكير الاطفال . إذا صح التعبير ؛ كما أنها توجه الطفل نحو الهوامش والتفاصيل وليس نحو المهم والشمولى . ونحو نمط من الحياة ربما لا يتناسب مع أهدافنا وتطلعاتنا كأمة تتحو نحو التقدم والنمو .

القسم الخامس

ثقافة العولمة : الإعلان وتغذية ثقافة الاستهلاك

خلال عقد التسعينات شهدت منطقه الخليج طفرة هائلة في مجال الإعلان ؛ وكانت هذه الطفرة نتيجة طبيعية لما حدث من توسع فى المجال التجارى والصناعى ،وصعود عدد من الشركات والمؤسسات والهيئات المحلية والدولية التى أدركت مبكرا حاجتها الماسة إلى سوق يقوم على تصريف ماتنتجه من سلع وخدمات ، واستثمار وجود قوة شرائية تتوفر فى المنطقة بالشكل الذى لا يتاح فى أى موقع آخر بسهولة ويسر.

إن الطفرة الهائلة فى المجال الإعلاني فى منطقة الخليج العربى هى فى جوهرها تعبير عن خصوبة الأوضاع الاقتصادية لدول المنطقه ؛ والنظر إليها والتعامل معها على أنها بيئة مناسبة للخدمات الإعلانية ؛ وفى هذه الأجواء شهدت المنطقة ولادة نوع جديد من (المطبوعات الإعلانية) الخالصة؛ وهذا اللون من المطبوعات يتوزع على جانبين رئيسين ، أولاهما (الصحف الإعلانية) وثانيهما (النشرات الإعلانية) . وتعتبر "الوسيط" نموذجا للصحف الإعلانية ، أما النشرات الإعلانية فيمكن أن نجد نماذج عديدة لها فى تلك النشرات التي تصدرها الشركات أو الهيئات والمؤسسات والأندية والمستشفيات التى تبحث عن مستهلك سريع لسلعة أو خدمة فى مرحلة محدودة، تعقبها مراحل أخرى تصدر من أجلها نشرات جديدة تتوجه لمستهلك آخر أو المستهلك نفسه حول نوع آخر من السلع والخدمات ... وهكذا.

ومن الضرورى الإشارة الى أن ظهور المطبوعات ارتبط بعدد من الأسباب الموضوعية التى يمكن تحديدها على النحو التالى:

١ــ إن هذا اللون من المطبوعات يعدّ ــ بشكل أوآخر ــ امتدادا لما يطلق عليه "صحافه الخدمات " فى التجربة الأمريكية والأوروبية المعاصرة ، وقد انتعشت هذه الظاهرة فى أعقاب الثورة الصناعية الكبرى ، حين خلقت تلك الثورة مؤسسات وشركات صناعية كبرى تقوم على الانتاج الضخم Mass Production وتعى أن هناك فجوة كبرى بين معدل ما تنتجه من سلع وخدمات ومعدل الاحتياجات لدى المستهلكين ، وأن هذه الفجوة بين زيادة الانتاج من ناحية وقلة الاستهلاك من ناحية أخرى تحتم ضرورة البحث عن أساليب لترويج الانتاج عبر الإغراء المتزايد والتحريض على الاستهلاك كضرورة من ضروريات الحياة.

٢ــ احتلت وسائل الإعلام موقعاً متقدماً فى عملية الترويج باعتبارها قنوات تهيئ فرصاً متزايدة للوصول المباشر إلى المستهلك ، وقد ازدادت أهمية وسائل الإعلام أكثر وأكثر فى ظل وجود لون من التفكير الإرادى الذى يؤمن بان الإنفاق الإعلاني ضرورة من ضرورات الاستمرار فى الانتاج ، وأن ما يخصص له من أموال لايتبغى أن ينظر إليه على أنه خسارة لان التخطيط السليم له يجعله بالضرورة مصدراً لمكاسب هائلة.

٣ــ إن ازدياد فرص استثمار رأس المال الأجنبى خارج حدود بلاده ساهم فى توسيع نفوذ ما يعرف بـــ"الشركات المتعدية للجنسيه" فى الوطن العربى بصفة عامة وفى الخليج العربي بشكل خاص . فقد وعت هذه الشركات أن الخليج يمثل سوقاً لتصريف منتجاتها، وأن اللحظة مناسبة جداً لدعم الوكلاء المحليين ومساعدتهم فى مجال التسويق التجاري لمنتجاتها من السلع والخدمات ، ومن هنا فإن جانباً كبيراً من الطفرة فى صحافه الخدمات يعود فى جذوره إلى وجود نوع من المصلحة يجمع بين الداخل والخارج فى التفكير المشترك حول " دور لوسائل الإعلام" فى الترويج للسلع والخدمات .

٤ــ يعكس هذا اللون من الصحف فى الخليج العربي محاولة من جانب بعض القوى الاقتصادية الجديدة لأن تعبر عن ذاتها ومصالحها بالطريقة التى تريد فهي من ناحية تسعى إلى التحرر من قيودالإعلان فى

الصحف ووسا ئل الإعلام ؛ سواء كان ذلك فى شكل قيود مالية تلزم المعلنين بأسعار ينظر إليها على أنها باهظة التكاليف ،أو قيود تتعلق بضرورة الالتزام بتقاليد أخلاقيه معينه فى لغة الاعلان وشكله مثلاً، أو قيود تدفع هذه الشركات والمؤسسات إلى ما يشبه (الالتزام) بان تكون لفترات طويلة مصدرا لتمويل صحيفة ما أو وسيله إعلام ما، أو قيود تظهر فى شكل التعرض من جانب الصحيفه أو المندوب إلى نوع من الابتزاز الذى يحملها ما قد يجاوز طاقاتها المالية. وكلها عوامل موضوعية ساهمت بدور أكبرفى تعزيز فرص ظهور صخافَة الخدمات فى الخليج العربى .

٥ــ إذا كانت الصحف العامة فى الخليج ، كما فى بقيه أنحاء الوطن العربى ، لاتزال تمثل قناة الإعلان الرئيسية لكثير من (المؤسسات العامة)، فإن الجديد الذى جاءت به صحافه الخدمات أنها فتحت المجال أمام (الأفراد) ليعلنوا عما لديهم وما يمكن أن يقدموه للآخرين ،والمتابع لهذه الصحف يلاحظ أنها تمثل "صوتاً للمؤسسات الخاصة وقناة للافراد"، ومثل هذا الوضع يثير علامة استفهام حول حقيقة العلاقه بين مؤسسات الإعلام .(العامة) و(المؤسسات الخاصة) فى الوطن العربى ومدى نجاح وسائل الاتصال الجماهيرى فى الوطن العربى فى استيعاب التطلعات الخاصة لدى القوى الجديدة الناشئة فى المجال الاقتصادى .

٦ــ للمصالح الخاصة فى الخليج العربى دور رئيسى فى نشوء هذا اللون من الصحف، ومفهـــوم المصالح هنا يشترك فيه (المعلن) و(المستهلك) على السواء ، ويكفى فى هذا المجال أن نتأمل مثلا ما يجرى فى المجال الطبى ، فقد ظهرت مستشفيات عديدة خاصة تعمل فى مجالات طبية مختلفة، كنوع من الاستثمار اولا،وكأداة لتحرر الدولة من عبء الخدمات الطبية التى يمكن أن تقدم لغير المواطنين ثانياً، وفىاطار حرص هذه المتشفيات على توسيع نطاق انتشارها اكتشفت مبكراً أن ملكيتها لصحف ومجلات خاصة ضروره من ضرورات الاعلان عن (خدماتها) واثبات تميزها فى مجالات محددة.

ومن اللافت للنظر أن هذه المتشفيات أدركت مبكراً خريطه الاوضاع الصحية لكثير من المقيمين ،وخاصة تلك التى تتصل بأمراض التخمة والسمنة والبدانة وعلاقتها بالكوليسترول وضغط الدم وأمراض القلب ، فازداد حرصها على أن تكون رسالتها الاعلانية ترجمة للاحتياجات السائدة لدى كثير من المرضى ،ومما يلفت النظر أكثر فى هذا المجال أن الأمر لا يتوقف عند حد استثمار هذه الاوضاع من جانب المستشفيات . فقد ظهرت مراكز أو معاهد طبية متعددة ، جعلت من هذه الأوضاع قضيتها الأولي ، ووجدت فيها فرصة يتعين استثمارها من خلال تقديم وعود للمرضى بالشفاء خلال فترات محدودة.

٧ــ إن استمرار انتعاش هذه الصحف ظاهرة لا يمكن انكارها ، ويعود ذلك إلى أنها تخاطب احتياجات واقعية من ناحية، وتعنى بنوع من الرسائل الاعلانية يتضمن دلالات اجتماعية خصبة من ناحيه أخرى . فكثيرون من أولياء الأمور تتعدد مسؤلياتهم المهنية والتجارية وهذا ما يفتح الباب واسعاً أمام مكاتب تعلن عن "الخدم" ،وكثيرون من أولياء الأمورَ ايضاً ينتابهم قلق كبير على مستقبل أبنائهم التعليمى، وهذا يفتح الباب واسعاً أمام (المدرسين والمدرسات) ممن يعلنون عن خدماتهم ومؤهلاتهم التى تبرر الدفع اليهم بالابناء من أجل الدروس الخصوصية ، وكثيرون من أولئك الذين يعملون فى خدمة الشركات والمؤسسات الأجنبيه يكتشفون ضعف مستوى المامهم باللغة الانجليزية ، ولهذا يفتح باب كبير اسمه معاهد تعليم اللغة الا نجليزية التى تعد المواطنين بشهادات موثقه ومعتمدة .

٨ــ تلبى هذه الصحف احتياجات كثيرة للأفراد ممن يتطلعون إلى (معلومات) تمكنهم من التصرف السليم فى بيئة ربما يجهلون الكثير عنها . يسرى هذا على إعلانات الجمعيات التعاونية والمراكز التجارية التى تقدم عروضًا خاصة تلبى الحاجة إلى الشعور بأن قدرا من التوفير تحقق ، ويسرى هذا على عروض السيارات المستعملة والأجهزة المنزلية والالكترونية وتكنولوجيا المعلومات ولعب الاطفال والوجبات والأطعمة

الجاهزة وخدمات الحاسب الآلى ودوراته التدريبية ومراكز التجميل وخدمات التليفون المحمول والمراكز الترفيهية ومراكز الصيانة العامة وخدمات السفر والسياحة والفرص المتاحة فى مجال السكن والحصول على شقة أو فيلا ، وسوق السيارات وشراء و نقل الأثاث ومراكز الخدمة البيئية ومكافحة الحشرات وفرص العمل فى المجالات المختلفة وخدمات الشحن السريع ودورات تعليم اللغة الانجليزية والعربية والدورات التى تلبى الاحتياجات العلمية الخاصة وخدمات الحج والعمرة وجلب الأيدي العاملة والخدم ....الخ.

ثمة حاجة إلى تقييم تجربة المطبوعات الإعلانية فى الخليج العربي ، تقييماً نقدياً يرتبط بهدف، رئيسى وهو تصحيح مسيرتها والتطوير من ادائها على النحو الذى يكسبها فاعلية أكبر . ويمكن التوقف أمام مجموعة من الثغرات نحددها فيما يلى:ـــ

١ــ إن جانبا لايستهان به مماينشر من إعلانات فى هذة المطبوعات ينطوى على مبالغات كبيرة ، وما يجرى عرضه من معلومات حول سلع أوخدمات كثيرًا ما يكون زائفاً ، يفتقر الى الصحة ولايستقيم مع المنطق الذى يعرفه أهل الاختصاص جيداً ، وليس من حق هذه المطبوعات أن تستثمر "جـهل " المستهلك العادى بحقيقة ما تدعيه حول المنتجات ، لأن هذا يدخل فى دائرة (التضليل) ،ومثل هذا التضليل لايمكن أن يدوم إذ سرعان ما يعرف المستهلك من الذى يكذب عليه ، ومن الذى يبالغ ،وعادة ما يتخذ قراراً صائبا بتجنب هذا اللون من المطبوعات ، وتجنب السلعة او الخدمة المعلن عنها ، وتلك خسارة كبرى للمطبوعة وللمؤسسة المعلنة.

٢ــ يلاحظ المتابع لهذا اللون من المطبوعات ظاهرة تستحق المناقشة وتستحق أيضاً أن تكون موضوعاً لحوار عام فى المجتمع ، فكثير مما ينشر فى هذه المطبوعات من إعلانات يمنح بعض الظواهر المثيرة للشبهات "شرعية "فى المجتمع ، ومماذكر فى هذا الصدد (إعلانات الدروس الخصوصية) أو إعلانات المراكز والمكاتب التى تقوم بالانتاج الكامل لبحوث

الطلاب فى مؤسسات التعليم المختلفة بدءاً من المدرسة الابتدائيه وانتهاء بالجامعة ، فالكل يعلن عن نفسه بوضوح وصراحة ،واستمرار الإعلان فى هذا المجال يكسب هذه الممارسات شرعية اجتماعية ، وهذا يثير علامة استفهام حول مدى الجدية فى التعامل مع هذه الظواهر التى يتفق المجتمع على أنها ظواهر مرضية(غير صحية) وأنه لابد من الحد منها إن لم يكن القضاء عليها ممكناً.

٣ــ إن جانبا كبيرا من الإعلانات التى تنشر فى هذه المطبوعات يفتقر إلى الذوق والحياء وكثيرا ما يفتح باباً وربما أبوابا للرذيلة ،وكثيرا ما يكون سببا من أسباب ترسيخ صورة سلبية عن مجتمعاتنا عندما تتسرب إعلانات تتركز حول تسويق للخادمات مثلا وتلقى الضوء على مواصفاتهن ومؤهلاتهن وتعنى بتجميل صورتهن لدى طالبى الخدمة . مثل هذا اللون من الممارسات يجرى رصده من قبل هيئات ومؤسسات أجنبية تحرص على الإساءة إلى صورة الانسان العربى ، وتنظر إليه على أنه نوع جديد من الرق أو العبودية أو المتاجرة فى البشر فى العالم المعاصر .

٤ــ إن جانبا كبيرا من الخدمة الإعلانية التى تقدمها هذه المطبوعات يكشف فى كثير من الحالات عن وجود تناقض بين (مصالح المعلن) و(مصالح المجتمع) . فرغبة المطبوعات فى أن تعزز من حصيلة دخلها من الإعلانات يدفعها إلى نشر إعلانات مكثفة دون أن تاخذ فى الاعتبارما نسميه بـــ(الأبعاد الاجتماعية أو الاقتصادية أوالثقافية أو السياسية) للخدمة الإعلانية ، فبعض الإعلانات يخلق حاجات زائفة لدى الافراد ويغذى تطلعاتهم نحو الاستهلاك دون التمييز بين ماهو (أساسى أوهامشى) أوبين ما هو(ضرورى أوثانوى) وفى ظل محدودية دخل الأفراد يصبح من المحتم عليهم أن يعيشوا شعوراً خطيرا بالاحباط سواء نتيجة للاحساس بالعجز المالى الذى لا يمكنهم من إشباع احتياجاتهم المصطنعة ، أو نتيجة لما يقومون به من مقارنات بين حالتهم وحالة الآخرين من حولهم من ذوى

القدرات المالية الكبيرة ؛ ممن تؤهلهم قدراتهم للاستهلاك الذى لا تحده حدود.

ومن ناحيه ثانية فإن الإلحاح على استهلاك سلع معينة عبر التكرار المتزايد والمكثف ربما يصبح سببا لنقص هائل فى المعروض منها بما يرتفع بامكانية استثمار هذا الوضع فى رفع قيمة السلعة أوالخدمة كنوع من الاستغلال للظرف . وفى هذا ما يهدد مصالح المجتمع تهديدا كبيراً.

ومن ناحية ثالثه يلاحظ أن هذه المطبوعات كثيرا ما تكون قنوات للإعلان عن منتجات أكثرها أجنبى وقليلها وطنى . وهى من هذه الزاوية تثير موضوع الصراع بين (المحلى والمستورد) ، وإذا كان الترويج للمنتج الأجنبى يلبى احتياجات محلية واقعية ، فإن هذا لا ينبغى أن يكون على حساب استراتيجيه الدولة وسياساتها فى مجالات التنمية الشاملة وحرصها على دعم وتشجيع المنتج الوطني .

ومن المفارقات التى ينبغى التوقف أمامها فى هذا المجال أن كل مواجهة بين منتج أجنبى ومنتج محلى تنتهى فى كثير من الأحيان بخسارة الوطنى فى مواجهة الأجنبى . لا لأن المنتج الاجنبى أكثر جودة ، أوافضل سعراً بالضرورة . لدينا سبب آخر لا يمكن الاستهانه به وهو أن الشركات والمؤسسات الأجنبية تعير اهتماما خاصا للإعلان ، وتنظر إليه على أنه استثمار طويل المدى ، وأن عائده مضمون فى الوقت الذى لا يقتنع فيه مديرو المؤسسات والشركات الوطنية بجدوى الإعلان ، ويعتبرون الإنفاق عليه تبديدا للمال . ويبدو أن امامهم وقتا طويلا لكى يدركوا أن (جودة) المنتج بمفردها لا تكفى طالما أن الجمهور (لا يعرف) عن السلعة أو الخدمة شيئا .

خاتمة

التعامل مع العولمة

(١) فى ضوء ما أثارته العولمة لدى الباحثين والمفكرين فى الوطن العربي يلاحظ أن هناك اجماعا على أن الإنكار والاستنكار موقفان غير مقبولين إزاء ما نواجهه : "العولمه" ، ويستوى معهما موقف الاندفاع والهرولة للحاق بالركب دون فهم حقيقة ما يجرى . الهدف ليس نقد الظاهرة بل فهمها وتحليلها وبلورة ردود الفعل المثلى إزاءها . وفى رأى كثيرين فإن العولمة ـــ شأنها فى هذا شأن كل التحديات المصيرية ـــ تجمع بين التهديدات والفرص. (٢١)

(٢) لا شك أن تداخل الفرص والمخاطر هى التى تؤدى إلى تفاوت المشاعر والأحاسيس والمواقف تجاه العولمة اشد التفاوت ؛ فالبعض يظهر كل التفهم للعولمه ، ويرحب بفرصها المعرفية والاستثمارية الواضحة كل الوضوح . ويدعو بالتالي للانغماس فى لحظة العولمة للاستفادة منها ومن معطياتها . والبعض يبدى التخوف من مخاطر العولمة الكثيرة ويرفض دلالاتها الاستغلالية ومضامينها الاستهلاكية ، ويدعو بالتالى للانكماش من أجل حماية الذاتية الحضارية والهوية الثقافية التى تبدو مهددة من قبل العولمة . والبعض الأخير يشعر بمزيج من المشاعر الايجابية والسلبية ويحاول أن يوفق بين الانغماس من ناحية والانكماش من ناحية أخرى وهو موقف" الانغماس " والذى يمثل القليل من الانكماش والقليل من الانغماس . والحقيقة أن لكل موقف من هذه المواقف حسناته وسيئاته ، وبالتالى فإن من اختار الانغماس أو الانكماش للتعامل مع العولمة فهومحق فى اختياره حيث لايمكن أخلاقيا أو سياسيا المفاضلة بين أى موقف من هذه المواقف الثلاثة أى الإنكماش والإنغماس والإنغماش ؛ فليس من حق المنكمش أن يتهم المنغمس فى العولمة بالتغريب أو الأمركة والعلمنة أو الخيانة أو الانحلال

وليس من حق المنغمس أن يصف المنكمش بالرجعية أو التطرف أو التخلف أو الماضوية كما أنه ليس من حق المنغمش أن يعتقد بأن انغماشه أفضل من انكماش أو انغماس الآخرين فالإنغماس والانكماش والانغماش هى أساليب مختلفة ومشروعة للتعامل مع العولمة والمستجدات الحياتية المتلاحقة بل إن هذه المواقف الثلاثة ستظل قائمة وستتكرر ومن حق الجميع أن يتبنى القناعة الخاصة به دون أن ينفى أحدهم الآخر .(٢٢)

(٣) إن التعامل المناسب مع العولمة ينطلق من الاقرار بأن قوة الدولة العربية هى التى تؤهلها للتفاعل على المستوى الدولى بثقة فى ظل وعى بالمحاذير المختلفة، وهذا يدعو إلى الاهتمام بمراجعة الأوضاع الداخلية ومعالجة ما بها من ثغرات ، سواء كان الأمر يتصل بالأجهزة الادارية والحكومية أو نظم وسياسات التعليم والتدريب والتأهيل أو سياسات نقل التكنولوجيا وتوطينها وتنمية قاعدة تكنولوجية محلية أو الإصلاح السياسى القائم تحقيق تحول ديمقراطى حقيقى بصورة تدريجية وتراكمية وتحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة ظواهر الفساد السياسي والادارى باعتبار أن هذا هو المدخل الحقيقي لبناء دولة المؤسسات وتحقيق سيادة القانون وترشيد عملية صنع السياسات والقرارات .

(٤) إن قوة الدولة فى الوطن العربى تتعزز فى ظل الحرص على إعادة الحياة إلى النظام الإقليمي العربى " ومن المفارقات أن الدول المتقدمة الأقل تضررا من سلبيات العولمة هى الأكثر حرصا على تفعيل مؤسسات وسياسات التكامل والتكتل الإقليمى فيما بينها ، بينما دول العالم الثالث الأكثر تضررا من ظاهرة العولمة لاتولى عملية التكامل الإقليمى الاهتمام الكافى بل إن سياسات بعض الدول تصب فى اتجاه عرقلة امكانيات التكامل ،ولكن نظرا لعمق التحديات التى تطرحها العولمة على هذه الدول ومحدودية قدراتها على التعامل معها فرادى ، فإن تطوير سياسات التكامل الإقليمى بين هذه الدول فى إطار المناطق والنظم الإقليميةالتى تشملها أصبح ضرورة خاصة وأن أغلب مناطق العالم الثالث لاتنقصها هياكل التكامل ولا التصورات

والأفكار والبرامج ولكن الذى ينقصها بالأمس هو إرادة التكامل بما تتضمنه من معانى الحرص والعمل المشترك على تذليل المشكلات والعقبات التى تعيق التكامل . وقد تكون التحديات المشتركة التى تمثلها العولمة لهذه الدول دافعا لها لاتخاذ خطوات جادة وحقيقية على طريق تفعيل عمليات التكامل والتكتل الإقليمي فيما بينها ". (٢٣)

(٥) " ليس الإنغلاق هو البديل العقلانى والفعال للغزو الثقافى لأنه غير ممكن من جهة ولأنه انقطاع عن الإنسانية وافتقار للوجود الذاتى من جهة أخرى ، وكذلك ليس البديل هو الاستسلام المطلق والذوبان فى الآخر وتبنى الأنماط الوافدة لأنه يلغي تعدد الرؤى الثقافية بمحاولة فرض منظور واحد وأسلوب حياة واحد واحلال فكر دخيل محل الفكر الأصيل ، والتحدى الكبير هو الحفاظ على التنوع الثقافى الإنسانى بابراز وتأكيد الهوية الحضارية للأمة ومتابعة العطاء المبدع من خلالها ."

(٦) إن ابراز وتأكيد الهوية الحضارية للأمة يتطلب بالضرورة الاهتمام بدعم الطابع العربى والقومى للثقافة فى ظل الوعى الكامل بأهمية وضرورة التفاعل والحوار مع الحضارات والثقافات الأخرى .

(٧) الاهتمام بخلق رابطة قوية بين الإنسان العربى والثقافة العربية على النحو الذى يعززمن درجة الولاء والانتماء للوطن . وفى هذا تتكامل أدوار الأسرة والمدرسة والجامعة والخطاب السياسي والخطاب الدينى ومؤسسات المجتمع المدنى .

(٨) الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها والعمل على انتشارها والتمكين لها فى المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية وسائر أجهزة الدولة فى الوطن العربى ليس عملا تعليميا تربويا أو نشاطا ثقافيا أدبيا أو وظيفة من وظائف وزارة التربية والتعليم والمؤسسات والهيئات والمنظمات المختصة فحسب ، ولكنه عمل من صميم الدفاع عن مقومات الشخصية العربية والزود عن مكونات الكيان العربى الإسلامى وعن خصوصيات

المجتمعات العربية والحضارة العربية الإسلامية . وعمل فى هذا المستوى وبهذا القدر من الأهمية يدخل ضمن خطة بناء المستقبل ورسم معالمه .

(٩) نبه الدكتور شوقى ضيف بصفته رئسا لمجمع اللغة العربية فى مصر إلى واحدة من أهم المشكلات التى تواجه اللغة العربية حين قال : " .. ولا ريب فى أن طلاب الكليات العلمية يشعرون بغير قليل من الهوان للغتهم العربية ؛ إذ يدرسون علومهم بلغات أجنبية ولا يجدون للغتهم العربية مكانا بينها ، مما جعلهم يشعرون بأنها لغة متخلفة ولا توجد أمة متقدمة فى العالم تعلم العلوم فى جامعاتها بلغة أجنبية سوى مصر وبعض البلاد العربية ، ومعروف أن سورية هى البلد العربى الوحيد الذى يعلم العلوم الغربية فى جامعاته منذ سنة ١٩٢٠ ولم يحدث فيه أى خلل أوضعف ، ويشترك علماؤها فى المؤتمرات العالمية . وأمل تعريب التعليم الجامعى من آمال الأمة . وقد طال عليها انتظاره ."[٢٤]

(١٠) إن مواجهة حالة الهوان التى تعيشها اللغة العربية ينبغى أن تتخطى مسألة المناشدة والدعوة والطلب إلى الجهات المسئولة للقيام بواجبها تجاه لغة الضاد إلى استصدار قرارات مسئولة أو وضع تشريعات قانونية ملزمة تسهم فى الحفاظ على مكانة اللغة العربية فى مؤسسات التعليم على اختلاف مراحلها ؛ بدءا بالمدرسة وانتهاء بالجامعة ، وتقضى باعتبار الخطأ فى اللغة ليس فقط عيبا أومسبة أو نقصا ، وإنما اعتبار ذلك خروجا على القانون . وهذا هو الشأن المتبع فى بعض الدول الأوربية ، خاصة فى فرنسا التى يلزم القانون المصدق عليه فى الجمعية الوطنية (البرلمان) باحترام اللغة الفرنسية والحفاظ على سلامتها ونقائها وعدم المساس بهيبتها وسمعتها .

(١١) توسيع مفهوم الأمن القومى العربى بحيث يشمل العناصر الثقافية للحفاظ على هويتنا الوطنية والقومية العربية الإسلامية من الاختراق الثقافى لها من قبل قوى الاستعمار الجديد والصهيونية وفق نظم تسهم فى تحصين الذات العربية ضد أنماط الثقافة الاستهلاكية التى تتسم بالسطحية والابتذال وتتجه نحو خلق الانسان السلبى اللامنتمى .

(١٢) دعوة وسائل الإعلام والثقافة فى الوطن العربى لأن تتحمل مسؤولياتها فى الحفاظ على اللغة العربية والثقافة العربية وإعادة النظر فيما تتبناه من سياسات إعلامية على النحو الذي يجعل من قضية الهوية واحدة من قضايا الرأى العام. وقد لخص الشاعر والموسيقار اليونانى ميكيس تيودوراكيس دور وسائل الإعلام والثقافة فى مواجهة العولمة بقوله : " على الشعوب أن تنتبه لخصوصياتها وتحتمى بتراثها ضد الذوبان وعليها أن تعود لوفلكلورهاوأشعارها وموسيقاها ولعاداتها المحلية لكى تتمكن من مواجهة العولمة والنظام الاستهلاكى الشمولى الطاحن الجديد . إن البشرية تقف اليوم عارية أمام الوحش ولابد من استنهاض ثقافات الشعوب وابداعاتها المحلية وخلق نماذجها الخاصة بها لتحتمى بها من هذا الوحش .[٢٥]

(١٣) من الضرورى أن نبتعد عن الخطأ التاريخى الذى وقع فيه عالمنا العربى من جراء تغييب الجمهور واعتباره رقما صفريا لا يستطيع أن يفعل شيئا أو يساهم فى تصحيح معادلة أو تطوير أخرى لصالح الوطن العربى وتطلعاته المستقبلية . لهذامن الضروري بلورة استراتيجية شاملة متكاملة تهدف ، فى المحصلة النهائية إلى حضور الجمهور الفعلى فى ساحات البناء والتطوير ومعالجة الاشكالية التاريخية التى يعانى منها وطننا العربى . وثمة مسوغات عديدة لضرورة اعادة الاعتبار إلى الجمهور فى هذه الفترة العصيبة التى يمر بها وطننا العربى ويمكن تحديد أهم هذه المسوغات فيما يلى :

أ ــ إن النخب السياسية السائدة ، وفى ظل هذه التطورات الدولية والاقليمية السريعة، أحوج ماتكون إلى كل قوة تسند خياراتها وتحتضن مشاريعها وتصوراتها ولاشك فى أن الجمهور بقواه المتعددة وشرائحه المتنوعة يشكل قوة مركزية وفعالة بامكانها أن تمارس دورا ايجابيا فى هذا المضمار .

ب ــ إن احترام الجمهور واختياراته الثقافية والمجتمعية من قبل النخب السائدة يعد تصحيحا سليما وأساسيا لاشكالية الدولة والمجتمع ، مما

يدفع بالجمهور إلى المشاركة فى اسقاط الخيارات المعادية للوطن العربى حاضرا ومستقبلا كما سيصبح جسرا ضروريا لنقل خيارات الوطن العربى من عالم النظرية والتجريد إلى رحاب العمل والتطبيق .

ج — إن امتلاك ناصية المستقبل لايتحقق إلا بمشاركة الجمهور فى صناعة حاضره ، لما يمتلكه من امكانيات وطاقات هائلة . ويجانب الصواب من يعتقد أن بامكانه ولوج المستقبل باقتدار بدون الجمهور ، ولهذا نجد دائما أن الدول المتقدمة والمتفوقة حضاريا وذات التأثير المباشر فى مسيرة البشرية جمعاء هى التى يشترك فيها الجمهور فى تسيير الأمور وتحمل المسئولية الوطنية .

مصادر الدراسة ومراجعها

١ــ برهان غليون وسمير أمين ، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، ط٢ (دمشق :دار الفكر، ٢٠٠٠) ص١٢.

٢ــ أحمد نجيب الشابى ،" نحن والعولمة والديمقراطية " صحيفة الحياة، ١٩٩٧/١٠/١ .

٣ــ على محمود العائدى ، الإعلام العربى أمام التحديات المعاصرة، سلسلة دراسات استراتيجية(أبو ظبى : مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، ١٩٩٩) ص٨٧ .

٤ــ المرجع نفسه ،ص ص٨٨ ،٨٩ .

٥ ــ حوار مع الطيب تيزينى ، صحيفة البعث السورية ، ١٩٩٧/٩/٨ .

٦ــ راجع لمزيد من التفاصيل أفكار فوكو ياما حول التبشير بمركزية الحضارة الغربية فى :

ــ فرانسيس فوكو ياما ، نهاية التاريخ وخاتم البشر(القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٣)

ــ زكريا بشير امام ، فى مواجهة العولمة ، ط١ (عمان : روائع مجدلاوى ،٢٠٠٠) ص ص ١٨٧ ،١٨٨ .

٧ــ سالم يفوت " هويتنا الثقافية والعولمة " مجلة فكر ونقد، سبتمبر ، ١٩٩٨ ،ص ص ٣٧ ،٤٣ .

٨ــ جلال أمين ، العولمة والهوية الثقافية ، مجلة المستقبل العربى ، أغسطس ١٩٩٨ ، ص ٦٠ .

٩ــ محمد سيد أحمد "حول ندوة العولمة الثقافية فى جامعة ليون بفرنسا " صحيفة الراية القطرية ، ١٩٩٨/٧/٢ .

١٠ــ معتز سلامة " التعليم فى دول الخليج ٢٠٠١/٢٠٠٢ " فى : التقرير الاستراتيجي الخليجي ٢٠٠١/ ٢٠٠٢ (الشارقة : دار الخليج للطباعة والصحافة والنشر ٢٠٠٢)ص ٢٥٣ .

١١ــ على عبيد " دور التلفاز فى نشر العربية الفصحى " فى :
ــ مجموعة من الكتاب ، لغتنا العربية فى خطر(الشارقة : جمعية حماية اللغة العربية ٢٠٠٠)ص ص١٤ ، ١٥ .

١٢ــ لمزيد من التفاصيل أنظر الترجمة العربية للمشروع الذى أذاعته الولايات المتحدة الأمريكية حول "الشرق الأوسط الكبير فى : صحيفة الحياة ، ١٣ /٢ /٢٠٠٤ . حول أبعاد هذا المشروع وتأثيراته أنظر قراءات ورؤى عربية له فى :
ــ السيد يسين ، " أوراق ثقافية : الوصاية الأمريكية على الشرق الأوسط الكبير " ، الأهرام ، ١٩ /٢ /٢٠٠٤ . وصحيفة الاتحاد، ٢٠٠٤/٢/١٩ .
ــ رضوان السيد ، الشرق الأوسط الكبير ، صحيفة الاتحاد، ٢٠٠٤/٢/٢٢ .
ــ أنور محمد قرقاش،" الشرق الأوسط الكبير"، صحيفة الاتحاد ، ٢٠٠٤/٢/٢٣ .
ــ زين العابدين الركابى ، " هل هو شرق أوسط كبير مفرغ من الإسلام " صحيفة الشرق الأوسط ، ٢٠٠٤/٢/٢١

١٣ــ محمد شومان ، العولمة ومستقبل الإعلام العربى (القاهرة : مركز الدراسات السودانية ،٢٠٠٠)ص ص ٢٨، ٢٩ .

14- Johan Galtung"Theory of structural imperialism" Journal of Peace Research(8) No.2(1971)p.81,117.

15- Johan Galtung &R.C.Vincent,Global Glasnost: Toward Anew World Information And Communication Order ? (Cresskill,NJ :Hompton Press, 1992)

١٦ــ أديب خضور، سوسيولوجيا الترفيه فى التليفزيون ، سلسلة المكتبة الإعلامية (دمشق :المؤلف نفسه، ١٩٩٧) ص ٦ .

١٧ ــ هربرت شيللر ، المتلاعبون بالعقول ، سلسلة عالم المعرفة (١٠٦) (الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ،١٩٨٦) ص ١٠٤ ..

١٨ــ المرجع نفسه ، ص ص ٣٩ ، ٤٠ .

١٩ــ حسن مدن ، الثقافة فى الخليج : أسئلة برسم المستقبل (الفجيرة ، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات ،٢٠٠٠) ص ٤٢ .

٢٠ــ نجلاء نصير بشور ، " وسائل ثقافة الأطفال العرب بين الواقع والطموح " فى : نحو خطة قومية لثقافة الطفل العربى (تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٤) ص٨٩

٢١ــ أسامة أمين الخولى ، فى مقدمته لكتاب(العرب والعولمة)أنظر : مجموعة من الباحثين ، العرب والعولمة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨) ص ٨

٢٢ــ عبد الخالق عبد الله ، "العولمة : جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها" مجلة عالم الفكر ، أكتوبر/ ديسمبر /١٩٩٩ ، ص ص ٨٩ ، ٩٠ .

٢٣ــ حسنين توفيق ، "العولمة : الأبعاد والانعكاسات السياسية"، فى : المصدر السابق نفسه، ٢١٦.

٢٤ــ شوقى ضيف ، " مجمع اللغة العربية وتعريب التعليم العالى " ، الأهرام، ١٩٩٩/٧/١٠ .

٢٥ــ أنظر : حسين العويدات ، " العولمة ووسائل الثقافة والإعلام " ، مجلة الرافد (دائرة الثقافة والإعلام ــ الشارقة) نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٩، ص ٣٩.